The Suffering Girl

رواية

الفتاة المعذبة

عصريه وعظيه غراميه

(لمؤلفها)

(حضرة الكاتب الاديب علي افندي لطفي)
(صاحب جريدة المرصاد ومحررها)

لملتزمها منصور افندي عبد المتعال الكتبي الشهير بشارع الحلوجي
بالازهر المنير و بشارع محمد علي بمصر
سنة ١٣٢٦ هجريه وسنة ١٩٠٨ ميلاديه

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن جمات سير الحوادث . تذكرة لكل قديم وحادث . ونصلي ونسلم على علم الحكمة . وسيد الامة وعلى آله الاطهار وأصحابه الاخيار (وبعد) فلما كانت الامم على اختلاف طبقاتها تحتاج في وجودها العمراني الى اقتفاء آثار من سبقهم والتنقيب وراء أعمالهم واختيار الصالح منها ونبذ الطالح فيها ولا سبيل لمعرفتهم ما كان عليه الذين سبقوا الا بمراجعة التاريخ والوقوف على سير الحوادث في كل قرن من القرون الخاليـة ولذلك ترى كل أمـة تجمع أدوار حياتها في صحف التاريخ و يجتهـد كتابها في تدوين الاخبار والحوادث بعبارات تختلف باختلاف أذواقهم ونزعاتهم . فنهم من يذكر الحادثة السياسية على ما كانت عليه بغير حشو أو تعقيد ومنهم من يأتي عليها بأشكال متعددة ويلبسها لباس الخداع والحيلة ومنهم من يزينها بطلاء الحب والغرام والوجـد والهيام و يدخل على قصصـه عبارات مجازية ووقائع خيالية رجاء ترويح ذهن القارئ واستمالته لمؤلفه

أما نحن فقد جارينا كتاب التاريخ في شئ وخالفناهم في أشياء يحسن تركها ـ جاريناهم في تدوين الحوادث المهمة التي ولدتها الظروف في هذا العصر ليحفظ أثرها في التاريخ و يعاد ذكرها في الحال والاستقبال ولم ندخل عليها الحشو أو التعقيد أو طلاء غير مفيد وخالفناهم في عـدم تطبيق المجاز والخيال على واقعة الحال ولذلك يري الناقد وهو بصير أن روايتنا هذه لم يبرح ذكرها من الاذهان ولم يغب دويها عن الآذان وهي التي لغطت فيها الجرائد العربية والافرنكية واشتغلت بتحقيق حوادثها حكومتنا المصرية والقنصلية الايطالية زمناطويلا ولم يهتديا لكشف غوامضها ومعرفة حقائقها المستورة وقد كثر فيها القيل والقال وتباينت الظنون وساء الحال ودارت رحي الاحكام واضطربت أفكار الحكام ونادت الصحف قائلة . الفتاة المعذبة — الفتاة المعذبة . وكان المرصاد أول من كشف الغطاء عنها وهتك ستر مكنوناتها غير هياب ولا وجل من سطوة المسيطرين على الامور الى أن تعقبه الاشرار بدسائسهم وكاد أن يقع في فخاخهم لو لم تدرك صاحبه العناية بالسفر الى دار السعادة وهناك يـ

الله له طريق النجاة وقال عندئذ حسبنا الله ولاحول ولا قوة الا بالله

هذه أيها القاريء روايتنا التي نريد أن نقدمها هدية للتاريخ وتذكرة لمن يخشي على صورتها الحقيقية ووقائعها السياسية وفصولها الوعظية ومناظرها الغرامية وأملنا أن تفوز بنعمة القبول والله هو المرجو والمسؤول . انه على ما يشاء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير ﴿ علي لطفي ﴾

﴿ الفصل الاول ﴾

يري السائر في أكبر شوارع العاصمة قصراً مشيداً تحوطه حديقة غناء يسيل الماء في جوانبها من هضبات مرتفعة تغرد على رباوتها حسان الطيور بغريب الالحان وترتع في ربوعها الغزلان المختلفة الالوان ويشدوا الببغاء على الاسلاك الممتدة في نواحيها بصوته الفصيح وزراع الاشجار تنتقل بين حياضها وغياضها وفوهات المياه تنساب من الجداول على الرياحين فيضوع شذاها وتزيدها الطبيعة نضارة وبهاء وعلى باب ذلك القصر يجلس بعض الخصيان زهاء اليوم حتى اذا أقبل سيدهم على عربته المغطاة فيتزاحمون عليها ويأخذون بيده ويساعدونه على النزول منها ويتبعون خطواته القليلة ويشفقون بقوته الضئيلة الى أن يصعد رويدا على درج القصر ويصل الى القاعة المعدة لجلوسه فينفضوا من حوله وعندئذ تدخل عليه قرينته وهي أصغر منه عمرا واكثر جمالا وأقوي احتمالا فتحييه وتؤدي له ما طلب وتطلب كلما رغب وبعد فراغها من أداء الواجب اليه تتركه يستريح من عناء أعماله الرئيسية ولا يبرح من مضجعه الا اذا آذنت الشمس بالمغيب فيدخل عليه ابنتاه ويقدما اليه فرائض التحية وتجلس المتزوجة في حضرته بضع دقائق والبكر منهما تعود فتجلس على انفراد بمكان معد لها وتشتغل بمطالعة الكتب التاريخية والروايات الغرامية على غير عادتها اذ أنها كانت قبل الآن تطيل الجلوس في حضرة والدها ولا تفارقه الا اذا بارح القصر أو اشتغل بمقابلة زائريه

في عصر يوم من الايام دخلت عليها الخادمة وهي على متكاء بجانب النافذة المطلة على الشارع العمومي تسرح نظرها في الذاهب والآيب وقالت لها ان كاليرو تلك المرأة الافرنكية تود مقابلة سيدتي عندها خفق قلب السيدة فرحا وتهلل وجهها بشرا وانكشفت عنها غيوم الاكدار وزالت عن فؤادها سحب الهواجس والافكار

وأشارت على الخادمة بدخول الزائرة ولم يمض القليل حتى دخلت وحيت السيدة بتحية الكرامة فقابلتها بأحسن منها وأجلستها بجانبها وأمرت الخادمة بالانتظار خارج الباب ولا تدع أحداً يدخل عليها وبعدئذ قالت لزائرتها ما وراءك يا مدام من اخبار الحب والهيام

ـ ان حبيبك عزيز أرسل هذا المكتوب ولا حاجة لان اقص عليك حالة هيامه التي تعلمينها من خطابه فتناولت السيدة ذلك المكتوب بيد مرتجفة واسرعت بفض ختامه فاذا فيه ما يأتي تعريبه عن اللغة التركية

حبيبتي اعزها الله

اكتب اليك هذا وانا بين لوعة وهيام لا اجد راحة في ضميري ولا هناء في عيشي ولا لذة في وجودي وكأنني والحياة عدم في عدم • زفير في اليقظة وأرق في الفراش وسهد في النوم وامتناع عن الطعام • وتلعثم في الكلام • وضيق نفس • وتلاوة في عبس • أردد اسمك ويتمثل لي في الخلوة رسمك • حتى اذا عسعس الليل • وطلع سهيل • اسبح بحمد غرامك واتلذذ بالشقاء في هيامك

افبعد ذلك لا تسمح حبيبتي باللقاء وتريح فؤادي من هذا العناء • وانعم بلثم راحتيها فتبرد غلتي وتبرأ علتي

حناناً وعطفاً أيتها الحبيبة ورحمة من واسع فضلك تسع صريع حبك ولك من الود اجر ومن خالص الحب شكر

ابعث كتابي هذا ليقوم بترديد الشكوي منك واليك حيث لا حول لي ولا قوة علي تقديم شخصي الزائل امام حضرتك لحيلولة الرقباء بيني وبينك ووقوف عشيرتك في طريق اجتماعنا وحبذا لو رسمت الحبيبة لنا طريقاً نسلكه ومكاناً نقصده في الخفاء لنتبادل الشكوي ونتطارح الحديث في النجوي وعلي كل حال فأنا القائم بعهدك والمحافظ علي ودك والثابت علي حبك (عزيز)

وما كادت تفرغ من تلاوة المكتوب حتى اغرورقت عيناها بالدموع وامتقع لونها وعرتها رعدة اوقفت لسانها عن النطق فاجتهدت زائرتها في تخفيف مصابها حتى رجعت لصوابها وعادت اليها الحركة فاسندت رأسها بيدها ولبثت تروغ بنظرها في المكان وتصعد الزفرات الي ان نبهتها كالبرو بقولها • تجلدي يا سيدتي لوقع

هذه الملمات ولا تجزعي من صروف الايام ولا بد عن قريب تنقشع هذه الاكدار وتساعدنا الاقدار ويمحي ما كان ولا يكون الا الهناء بيد انك الان تخيرين مكاناً يليق للقاء الحبيب ويبعد عن نظر الرقيب

ـ طالما فكرت في ذلك ولم اهتد لمكان نأوي اليه عند رغبتنا في الاجتماع ولكني اعرض عليك ماخالج فكري الان وعساه ينطبق على اميالك وهو أننا نبحث على دار تلائم حالتنا وندفع أجرتها وتسكنين انت فيها ونعدها مكاناً مخصوصاً تقضى فيه ساعات اللقاء ونشارك بعضنا في السراء والضراء

ـ بورك فيك ياسيدتي وسرّيني في خدمتك وطوع أمرك وأخبرتك بأنني حال مروري اليوم في جهة الخرنفش رأيت منزلا جميلا يليق بمقامكما وهو خلو من السكان وفي جهة بعيدة عن قصرك هذا فان شاءت السيدة فلتذهب الآن معي لتنظره وتأمر بما تريد

ـ لا حاجة لان أذهب معك في مثل هذه الظروف وسأكتب لحبيبي عزيز لينوب عني في هذه المهمة وأكاشفه بما عولنا عليه

وفي الحال تناولت قلماً وقرطاساً من على طاولة كانت في احدي زوايا المكان وكتبت مايأتي

عزيزي عزيز

وصلني كتابك فكان على جسمي بردا وسلاما بعد ان كانت زفرات الحب تفعل فيه كما تفعل النار في الهشيم وما كدت أن أفض ختامه حتى ناداني عنوانه كما نودي ابراهيم . فشكرت حبك . وتمنيت قربك . ووددت أن أكون سليمان فاستخدم الريح بيني وبينك . أو أكلف الجن لتطوي حبل بيني وبينك ولكن مهلا ايها الحبيب فلا تجزع فما لا يدرك كله لا يترك جله واعلم يا عزيزي أن مدام كاليرو أخبرتني بوجود منزل يليق لاجتماعنا في جهة الخرنفش فعقدت النية على استئجاره لبعده عن الرقباء وليسترنا وقت اللقاء ورأيت انّ حاملة هذا تقيم فيه على الدوام درأ للشبهات ودفعاً للوشايات فان حسن لديك هذا الرأي فتوجه معها وانظر ذلك المكان واخبرني بما وصل اليه الامكان والسلام عليك مادمت على عهد حبيبتك (٥٤٠)

عندئذ طوت الكتاب وسلمته الى كاليرو فتناولته وودعت السيدة وخرجت تعدو مسرعة تتعثر في أذيالها الى أن جاوزت باب القصر فانطلقت كالسهم في جوف الفضاء لاتلوي على شيء حتى استوقفها صوت ضئيل يناديها فالتفتت نحوه فاذا هو صوت ذلك العاشق عزيز وكان بانتظار عودتها فتقدمت نحوه وناولته الكتاب قائلة . قد انتهى الامر ياسيدي وجاء الحال على ماتهوي وهذا المكتوب يشفي لوعتك ويكشف غمتك

اما عزيز فقد اشتغل بفض الكتاب عن حديثها وتلاه مثنى وثلاث ورباع وكان وجهه وقتئذ يحمر تارة و يعلوه الاصفرار أخرى حتى نبهته كاليرو لحرج موقفه فسار معها الى جهة الخرنفش فرحاً مسرورا من عناية الحبيبة به الى أن وصل ذلك المكان فأعجبه داخلا وخارجاً وأثنى راجعاً يشيع رسول غرامه وقد أمرها أن تبلغ حبيبة موافقة المنزل لحالتهما ثم تركها واستقام في طريق منزله بجهة شبرا

أما كاليرو فأنها قصدت قصر السيدة وهي تحسد نفسها على النعمة التي وصلت اليها بحيلتها ودهائها وسارت في الطريق تتيه على أترابها من أبناء جلدتها وقلبها مملوء بالامال الكبيرة . وبينما هي في زهوها وأعجابها سمعت صوتا يناديها من داخل عربة فالتفتت نحوه فرأته زوجها وكان آتيا من سفره فهرولت اليه حيث استوقف العربة وسلمت عليه وصعدت بجانبه وقد تخلى لها عن وجهة اليمين فركبت وسارت بهما العربة تنهب الارض بحوافر خيلها ولم يخرج حديثهما عن موضوع التحية وذكر أحوال السفر وبعض أمور تتعلق بوظيفته التجارية الى أن وصلا البيت فدخلاه وقابلتهما خادمة وطنية وحملت معدات السفر الى المكان المعد لها في المنزل وأخذت كاليرو بيد زوجها وأجلسته في مكان الاستقبال وبعد الاستراحة قام وخلع ملابسه وارتدى بغيرها وغسل وجهه من وعثاء السفر ولبث يتبادل الحديث مع زوجته في مواضيع شتى الى أن أتيا على ذكر السيدة وحبيبها فقالت له كاليرو . أني أبشرك يازوجي بسعادة مستقبلة ونعمة دائمة نسترد بها مافقدته يداك من الاموال في السبل الممقوته كالخمر والميسر وعن قريب أستنفد لك ثروة العاشق الغني من مال ونشب وما أدخرته حبيبته من فضة وذهب وخصوصا وقد وثقا باخلاصي لهما واستأجرا محلا فسيح الارجاء أتمتع بما فيه من الاثاث والرياش كما أشاء

— كيف ذلك يا كاليرو ونفسي تأبي احتمال التدنيث والاستنامة لهذه القبائح

المفضية لثلم الشرف والمضيعة للامانة والعفة وأخشى ان تنتقل اليك عدوى هذا الفساد فتكونين كالباحث على حتفه بظلفه ويذاع أمرك وتسوء سمعتك ونطردي من المحاضر وتنبذي من الدوائر وربما دفعني واجب الغيرة على الشرف لان أركب متن الاخطار وأعمل معك عمل الاشرار تطهيرا لسمعتي وتزكية لسيرتي فالواجب الآن يا كاليرو أن تتدبري في الامر قبل ابرامه ولا يقودك الشره والطمع الى الخسة والدناءة ومناوأة الصيانة والعفة بسلاح الفسق والخيانة ويلزمك أن تتحدي بالقناعة فقد قيل انها كنز لا يفنى وانت الآن تشتغلين ببيع الاقمشة في المنازل والايراد الوارد من هذه التجارة يقوم بأود أحتياجاتك مع ماأبعث به اليك في نهاية كل شهر من مرتبي الذي أتقاضه في البلاد الريفية وهذا وحده يكفل ضرورياتك ولا يضطرك لطلب المزيد من مهنة تمقتها شرائع الوجود وتمجها النفوس الشريفة

ـ مابالك ياهذا تطوحت مع وهمك الفاسد وتناسيت حقوق امانتي وواجب عفتي وجهلت الغاية التي أسعى للحصول عليها من وراء ذلك الانقياد المموه بطلاء الخداع والحيلة مع احترامي لمبدأ التصون الذي جريت على سننه من عهد نشأتي الى هذه الساعة فلا تميل نفسي لمطاوعة شيطان الخيانة ولا ينقاد ضميري للهوى • بيد أنني اشتغل بين عزيز وحبيبته لمصلحتنا التي كادت أن تقف العثرات الجمة في طريق فوائدها بعد ان نسخت يد اسرافك آية عزنا ومحت عنوان كرامتنا وجعلتنا وكدنا أن نطرق أبواب السؤال لولا بضاعتي المزجاة التي لا تسمن ولا تغني من جوع خصوصاً ومرتبك لا تؤكد استدامته ولا ترجي اطالة مدته وهذه فرصة عظيمة يمكننا أن ننال فيها ما يدفع عنا شرور الحاجة في المستقبل وانت تعلم اثراء عزيز واقتدار حبيبته وقد عرفت كيف استميل فؤاديهما في موقفهما الغرامي الذي ذهب فيه رشدهما وفقدا في سبيله مزية الشعور ونعمة الادراك • فدعني وشأني ولا تذكر أمامي عباراتك المؤلمة وكن واثقا بطهارتي كما وثقت بها في الماضي والحال وأستمحيك الآن عذرا في ذهابي الى قصر السيدة لاتمام مهمتي وأعود فأقص عليك ما كان وما سيكون من الامور التي تعقد النية عليها

﴿ الفصل الثاني ﴾

ترك عزيز رسالة الغرام بين يدي رسول الحبيبة وشخص الى قصره المشيد تترنح

نفسه ارتياحا و يبدي لسائق عربته سروراً وانشراحا كأنه ظفر بشيء كان قانطاً من نواله فلما وصل قابلته والدته على الدرج الاخير وسألته عن بعض الشؤون فاعرض عنها وأظهر رغبته في النوم لوجود دوار برأسه وأسرع بالدخول في غرفة نومه وانطرح على السرير بملابسه فاستاءت والدته من هذا الجفاء الذي قابلها به على غير عادته ولبثت في مكانها كالصورة التمثالية لا تتحرك حتى جاءتها الخادمة ودعتها لحضور المائدة فانتبهت من غفوتها وذهبت الى عزيز وفؤادها يتقد من الكدر وحينما رآها قام ونزل من السرير وأخذ يعتذر لها عن أعراضه فقالت له . ما هذا الانقلاب السريع والتألب المريع . ماذا جرى يا عزيز . أين شرفك اذا خنت أمك وأنكرت عليها حالتك وقصرت في واجبات صلة رحمها . الم تكن هي التي قاست في تربيتك أشق ما تقاسيه أم حنونة في سبيل انجاح مستقبل ولدها . ؟ . . ؟ . الم تكن هي التي تنقلت بك وحملتك على غوارب الحنان وربتك في مهد الرحمة ومجد الولاء حتى صرت على ما تمهد من مناشئ الحياة ومنازع الوجود . ؟ . أفق أفق . لا تظن أنني أجهل ما علق بفؤادك من العشق والجوى . فاتئد ياعزيز واعلم بأن تلك الفتاة التي شغفت بها واشتغلت بهواها عن سواها ونسيت من أجلها حقوق التربية ليست من درجتك في الجاه والثروة حتى تصلح أن تكون عروسك في يوم ما اذ أنها من عائلة وضيعة في الحسب والنسب وان ظهرت أخيراً في الوظائف الرئيسية فلا يلبث نجم رئاستها الا قليلا ثم يعتوره الافول وها هي عائلتك العالية بها من الفتيات من تصلح لها وتصلح لك فاختر لنفسك منهن من تتوفر فيها شروط الزوجية لان ذلك أحفظ لكرامتنا فلا يمسها الواشون بقيلهم وقالهم

وعلى كل حال فملاحظاتي يابني لم تخرج عن كونها ملاحظات والدة يهمها أن يكون ولدها في غاية من السعادة والنقاهة من كل الاوصاب والملل ولا تكن قد تأثرت من قولي فانه الحقيقة التي لم أرد اخفاءها عليك لتكون على بصيرة من نفسك ولتعلم أنك خضعت لفتاة غدارة يسعها أن تخضع أعظم منك حولا وجاها

عندئذ أطرق عزيز برأسه الى الارض واحمر وجهه خجلا وأخذ يخاطب نفسه قائلا — ماذا أفعل ياربي و بماذا أجيب على أقوالها المقنعة التي اخترقت صدري وسكنت قلبي . ؟ . انها والله نصحتني وأنت على الحقائق المقررة فشرحتها

و بينما هو في هذه التخيلات يروح و يغدوا اذ قالت له والدته . ارفع رأسك

يابني فانك تحفظ مجدك ومجد بيتك لو نزعت شعار الغرام من قلبك ورجعت الى صوابك فالحب قاهر طالما صرع الجبابرة وأذل الملوك والقياصرة ولله در القائل

هو الحب فاسلم بالحشاما الهوى سهل فما اختاره مضني به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنا وأوله سقم وآخره قتل

والعاقل من غاب هواه وأدرك بالثبات والحزم مشتهاه

— ماذا تقولين أيتها الوالدة وما هو ذلك الحب الذي دخل قلبي وتملك فؤادي ومن هي التي خضعت لها . . . . . ان كان بعض الوشاة قد نقل اليك عني بعض عبارات فهي مفتراة لا حقيقة لها . وان كان وهمك في حالتي الحاضرة صور لك هذه الخيالات في أشكال حقيقية فهو وهم باطل

— واعجباه انها لخواطر مستترة لا يكتنهها العقل ولا يحرزها النقل لكونها في باطن علم غاب كنهه عن المخلوق ولكن يا بني للظواهر غالبا حكم البواطن اذا ظهرت دلائل التوفيق بين ظاهر المرء و باطنه . وأنت تظهر عليك علامات الشطط والتناسي لأحكام الفطرة فلا يبعد علي مراقبة أسيارك واقتفاء آثارك خصوصا بعد أن تبينت حالتك وعرفت محبوبتك . فلا تغالطني في الموضوع ولا تعتمد على التعمية والتلبيس فكل شيء من حبك وغرامك وصل علمه الي

— حنانيك أيتها الام ورحماك أيتها الوالدة أرجوا انعطافك علي بالرضوان فأنا ابنك المخلص وولدك البار عدت علي عاديات الغرام وأثارت في قلبي مثيرات الآلام حتى تزعزعت أركان راحتي وتقلص ظل هنائي فلا أدري لدهشتي وحيرتي ان كنت على الأرض سائرا أو في الحضيض هاويا . فارحمي يا أماه ولدا تفتت كبده وأوشك أن ينقضي أمده وينمحي صفوه وسروره ولا تعجبي من اخفاء حالتي في بادئ الامر فذلك خشية من صواعق غضبك واحتراما لحقوقك علي ولم يعد ينفع الكتمان الآن فأسألك تذليل المصاعب ومحو العقبات من طريق غرامي ليتيسر لي الاقتران بمالكة الفؤاد ولأعيش عيشة راضية لا كدر ولا شقاء . فالبدار البدار بغير لوم أو تعنيف وحذار حذار من المطل والتسويف واعلمي بأن مثلي وهو تائه في بيداء الحب والغرام لا يرعوي لنصح أحد من الانام ولا تردعه المزاجر والحبيب عنده هو الاول والاخر فأني

لو جز بالسيف رأسي في محبتهم　　لمال يهوي سريعا نحوهم راسي

ـ ويحك ايها المقدود من الصخر . ويلك يا صغير القلب وضئيل الهمة وكبير الشهوة وطريد الرحمة . كيف تسعى الى حتفك بظلفك وتنقاد للفواعل الشهوانية وبوارقها الخلب التي هي دائما تخدع ولوامعها تضر ولا تنفع . فاسمع لقولي واتعظ واحذر صرور الهوى وصن قلبك حتى لا تستميله زخارف الأعجاب واتق الله واعتدل في أسيارك علك تنجو من عذاب يوم هوله لا يستطاع حمله . وها أنا أفرغت جعبة نصحي ولعلك ترجع عن غرامك هذا فانه مشؤوم عليك يأتيك تلوه المقت القريب

هنالك نظر عزيز الى والدته نظرة هزء وسخرية وقال لها . ان ولدك عاقل لا يختار الا ما ينفعه وينفع أهليه ولا تميز بالطبيعة لمن آذاه . فتفكري قليلاً وما يتفكر الا ذو لب طاهر وتذكري ملياً وما يتذكر الا أهل السرائر . دعيني يا أماه الآن لاستريح من عناء ما ألاقيه فاني أود النوم في هذه الساعة

عندئذ تركته والدته ولجأت الى مخدعها كاسفة البال مضطربة الفؤاد من جراء ما أصاب ولدها وفلذة كبدها الذي لم يشأ الانصياع لامرها وأبي الى الرضوخ لسلطان غرامه ولبثت ترسل مرسلات الدموع من محاجرها حتى بلت أوطاءها وعقدت بزفرلها غطاء سماوياً ثم انثنت تفكر في تدبير حيلة تدخلها عليه فتشغله عن متابعة السير وراء أهوائه وأمياله وبينما هي تقطع بيعملات أفكارها مفاوز الحيل وتقبض بيدها على جبهتها كأنها تستخرج نتائج الآمال منها قسراً دخلت عليها الخادمة وقالت لها ان امرأة أفرنكية جاءت في هذه الساعة على باب القصر وسلمت الخصي فيروز ذلك المكتوب وأمرته أن يسلمه لسيدي عزيز يدا بيد واخبرته بأنها ستعود قبيل عصر اليوم لاخذ الرد ؛ فما أتمت الخادمة كلامها حتى أسرعت والدة عزيز وتناولت الكتاب من يدها وفضت ختامه فاذا فيه ما يأتي

حبيبي الوحيد

شوقي كبير . وامري خطير . فكيف المصير . واليك متى المسير . أصبحت من حبك على خطر . ولم يبق لقلبي مستقر . فالى أين المفر . وما سبيل المصطبر

اذا لم يكن عون من الله للفتى　　فأول مايجني على المرء اجتهاده

أجل جنيت بحبك على نفسي ولكن أرجو أن لا أكون قد جنيت بل جلبت

سعادة مستقبلة هي الحظوة بقرانك أيها الحبيب الكريم آه ما أحلى ذكر القران على لساني وما أمر الوصول اليه . قلبي في أودية يهيم لافكار كلما شط به عن الوصول اليك المزار . ومن مدهشات الفكر ان مملوكة تطالب سيدها بقران تحيط به الاشجان والاحزان : فمن أين لامري ان ينال الحيا فمجل فديتك باحدي الراحتين لانك مالك لزمام الحبايبن . فاما ان تميت بقول (لا) وأما ان تستبقي بقول (نعم) . ومن دلائل التفاني في ولائك أيها الحبيب العزيز اني تقبلت رضاك عن المنزل المعلوم الذى سيكون معرض تبادل الحديث في غرامنا المفهوم وقبلت أن اكون لك وان لم ترضني قرينة فانا الخليلة الحزينه فان شئت فتفضل بالقبول والا فانتظر يوماً قريباً يقال لك فيه قد دفنت حبيبتك (٥٤٠)

(حاشية) سيدي تفضل علي قتيلة هواك بتعيين يوم لقاءك ومر رسولة غرامنا انهيئ فراشنا وطعامنا حتي اذا التقينا نجد المعدات موفورة والحظوة بكل شئ ميسورة فنعيش عيشة هنيئة علي بعد من الرقباء وفي حمي عشقنا الطاهر الي ان يتيسر السبيل الى أن نكون قرينين بعد أن عشنا حبيبين فتكون اللذة كبري بالرفاء والبنين ـ وافرحاه ـ اذا تم ذلك ورأينا ثمرات حبنا وزواجنا من ولدان وحور يملأون علينا القصر زياطاً ونكون آمنين من كيد الخائنين ـ رب يسر رب تمم بالخير (مي)

فما اتمت أم عزيز قراءة هذا الرقيم حتي امتقع لونها وسقط القرطاس من يدها وعرتها هزة حقد أخذت بها من عواطف الرحمة الوالدية الي جنايات الجنون والاضطهاد فاصرت علي كيد المكائد ونصب شباك الوقيعة جهارا في سبيل ابعاد هذين القلبين اللذين تضامنا غراماً وتعاهدا على انهما لا ينفصلان الا بسبب الموت الطبيعي ولكن أني لهذه الوالدة أن تنال بغيتها وكيف يتأني لها أن تنقذ ولدها من مخالب هذا الحب الذي ليس مبنياً علي قواعد الطهر والعفاف لما تخلل سطور كتاب الحبيبة من العبارات المريبة الدالة علي رضائها بأن تعيش خليلة ان لم يتيسر لها ان تكون قرينة

أطرقت أم عزيز رأسها ملياً كأنما تفكر فيما قدمنا وأخذت تذهب بها الهواجس مذهب سحيقة الى أن اتيح لها الانتباه من دهشة هذه الافكار التي أحاطت

بها فنشطت من عقال تدبيراتها قائلة على مسمع من الخادمة

ويل لها من خائنة تستبيح الصاق هـذا العار ببيتنا العالى وبيتها ولا تقرأ لامرها هذا عقبي تالله انها لمسحورة مثبورة يجب أن اقاوم مقاصـدها الشريرة وأقف في سبيلها حجر عثرة لعلى أظفر بنوال بغيتى التيهي ارجاع ولدي الى رشده وصوابه وكمالاته وآدابه فسأ كتب الى هذه الخائنة كتاباً باسم ولدي أردها فيه على عقبها خاسرة ولا يهمني أن تقع في الحافرة اذ لا يليق بأهـل الدعارة الا مثل هذه المهارة

ثم أمرت الخادمة بأن تحضر لها دواة وقرطاساً فذهبت الخادمة مطيعة لامر سـيدتها وأتت علي عجل بما طلبت فتبنت القلم بينانها وأخذت تسطر ما يلي

أيتها العزيزة

أني بكل أسف أحيط علم الحبيبة بأن عقبات كثيرة اعترضت سبيل حبنا فلا مفر من الانقياد لواعظ الاجتناب حتى ييسر الله أسباباً تجمعنا بعد الشتات حيث وشي بعض الوشاة بغرامنا هذا الى بعض أفراد أسرتي وهذا مادعاني لان أعاجلك بسطور الحذر من التظاهر بان بيننا علائق فاعتبري هـذا آخر كتاب اليك الى أجـل غير مسمي واسكني للاقدار كما سكنت واقصفي قلم المراسلات بيننا كما قصفت وكوني علي بينة من أن الحب خدعة يجب أن يتنصل منها الشرفاء فلا تعودي نفسك علي الوقوع في حبائلها ولا ترسلي الى تلك الداهية التي أتت بهذا الكتاب الذي هو خاتمة حبنا والسلام علي أيام مضت بغير احترام

(عزيز)

ثم بعد ان انتهت من كتابة هذا الرقيم طوته ووضعته في غلاف وسلته الخادمة وأوصتها بأن تقول لرسولة الحبيبة أن هـذا الكتاب من سيدها عزيز لتبادر بتوصيله في القريب العاجل ثم بعد ذلك وضعت رأسها على كاتي يديها وفكرت في أمر ترجع به ابنها عن الحب بالفعل ولبثت هكذا حتى أتت الخادمة وأنبأتها بأنها سلمت الكتاب الى واسـطة الحب فأمرتها بلزوم غرفتها حتى تحتاج اليها فأطاعت وذهبت

أما هذه السيدة الخطيرة فانها استمرت تجهد فكرتها في ايجاد سبب يصرف فؤاد ولدها عن حب تلك الخائنة في نظرها وبعـد عناء واعياء هبت من أطراقها متهللة

فرحة تقول : عرفت كيف أرد ابني عن الهوى بمن لا تستحقه ظفرت ببغيتي ، وكانت قد استنتجت من افكارها فكراً أعجبها وهو ان تخاطب ابنها في أمر الزواج وتخطب له غادة حسناء من السيدات العاليات تكون كاملة في آدابها ووجاهتها وكمالاتها وجمالها وعلقت آمالها بكريمة عظيم من عظماء عائلتها ورجحت ان يكون ولدها محصور العواطف والاميال في دائرة الاسرة لا يتعداها بهواه الذي جلب عليه الهوان

و بينما هي كذلك اذ دخل عليها عزيزها عزيز فاستبشرت بقدومه و بشت في وجهه واستقبلته بذراعيها تريد ادخال السرور عليه فاندهش عزيز من هذه المقابلة الغير الاعتيادية غير انه قابلها بمثلها وجلس بجانبها فاخذت الام الحنونة تسليه بعبارات تشف عن ارادتها له الخير ان سرت عنه بعض همومه . فلما لاحظت عليه انه سر وانه رجع الى مثل حالته قبل الغرام من البشر والارتياح بما يرضي الوالدة أخذت تقول له .

أي بني . نعلم ان والدتك تريد لك الخير وهي منذ فارقها أخوك بعد فقدانيك تنتظر لك سعادة خالدة لتعيش ناعمة البال مستريحة من كل بلبال في هذا الوسط القلق المفعم بالحوادث والاكدار واننا يابني آل بيت الى السياسة أقرب منه الى الغرور بمظاهر الحياة الكاذبة التي تضحك وهي تبكي ولعلمي ان ثروتك الآن لا تسع صيانة جاهك كله فأرى ان تقترن باحدى قريباتك من الاثيلات المثريات اللاتي يصبن الي واليك و يتنافسن في مضمار الحصول عليك فإن انت أطعتني يابني وانفذت لاوامري كنت لك خير عضد في حياتك حتى تصبح أسعد من الم حظا وأوسع جاهاً وازكى سمعة

اجل . اني على بينة من ان طائف الهوى الشهوى قد مس فؤادك الطاهر ولكن يجب ان تنظر يا بني في نفسك وتعلم أنت من وتلك من وما الذي يستفيده الشاب الذي ينتظر مستقبلا معموراً بالخيرات والبركات من فتاة لا تملك ثيابها التي تميس فيها أنا لا أحجر عليك يا ولدي في أن تداعب امرأة رضيت منك بالمداعبة ولكن أحجر على فؤادك الشريف من ان يتلوث بحب من لم تكن أهلا لحبه فصن فؤادك من هذه الخداعة التي نصبت لك اشراكها ويوشك ان تقع فيها على غير قصد بسبب طيشك واعلم ان الصواعق التي تنقض على صرح مجدنا فتدكه دكا من جراء انقيادك

للهوى الشهوي الاعمى لا منبب لها سواك فتكون انت الهادم لما بناه ابوك . وبئس خلف يهدم ما بنى السلف فاعتبر وتذكر وما يتذكر الا من ينيب

كان عزيز يسمع كلام أمه بأصغاء غريب و يتلون في حركاته كأنما يتمرغ على مثل القتاد ولكنه فهم كل شيء قالته واستخبر من ضميره عماذا تريد أمه من نصحها له وكيف أنها ستكون عقبة كؤوداً في سبيل حصوله على مالكة لبه وموضوع غرامه وهيامه فلما انتهت الوالدة الناصحة من قولها وهو على هذه الحالة تتقاذفه امواج الفكر المظلم نبهته مستخبرة عن رأيه فقالت : هل كلامي هذا لم يرضك يابني وهل تريد الاصرار على هدم صرح مجدنا بمعول هواك ونزق شبابك . ؟ . لا . لا . اني اعاهدك يابني عاقلا رزيناً نعرف كيف تقاوم عوامل الفساد التي تطرق حول ضميرك الشريف النقي . اني أعتقد دائماً يا ولدي انك رشيد حازم وقد ظن بك ابن العم خيراً فعهد بمهمة خطيرة اليك لم يكن ليعهد بها الى سواك . وهذا برهان على رسوخك في الفضيلة و بعدك عن الرذيلة فكن على ما نعهد فيك ولا تزلزل ثقة العائلة كلها بك بطيشك ونزوعك الى مالا يجوز في شريعة المجد الادبي المحترم

سمع عزيز كلام امه فكأن عاملين قويين يتنازعان فؤاده عامل الغرام بتلك وعامل الانصياع لوازع الشرف والضمير واكتساب رضاء العائلة وخصوصا الام الصالحة فاستحثته أمه على الاجابة فقال لا تتوهمي ياأماه اني أهدم صرح مجد عائلتي بمعول الهوى والغرام الذى تظنين انه متمكن من فؤادي واعلمي ايتها الوالدة الكريمة ان غرامي بتلك لم يكن غراما وانما هو وداد أدبي قام على الطهر والفضيلة ولم تحدثني نفسي بشيء يثلم الشرف ويضر بالسمعة ويقدح في كياننا المحترم . واما مسألة الزواج فاراني غير مضطر اليه الآن بل يجب ان اصبر حتى أتخير قرينة صالحة عملا بقول المرشد الحكيم صلى الله عليه وسلم (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) ولا يخفي على الوالدة البارة ان سمعة عائلتنا لم تكن شريفة من كل وجه فاتأني فيه سلامة النفس والعرض والمال معا . فلا يهولنك ماتسمعينه عني من الوشايات التي تذهب بفؤادك مذاهب الخوف علي وعلى مجد العائلة وشرفها الرفيع وحسبي من حياتي ان تكوني راضية عني غير ظالمة لي بظن السوء والشروان ابن عمي وثق بي وحمله ذلك لانه رأى مني أمانة وصدقا وحزما وقلما يجد هذه الخصال

المحترمة في سواي : اذ ما كنت موصل هدية منه الي صديق بل كانت مهمتي سياسية محضة لولا ما اعترضها من اكدار الاقدار لكنا اليوم في حال غير هذا الحال . . . .

هنالك أطرقت الوالدة رأسها مليا وقالت وهي مطرقة : اذا يجوز لك ياولدي ان تعاهدني على عدم التشبب بتلك التي اعدت لك شرك الوقيعة وحبالة الشر لتصطادك في فخ غرامها الفاسد : فلا تجعل فؤادك مستعدا لنزغات هواها الشرير : فاذا عاهدتني على ذلك اطمأننت على مستقبلك وتحققت انك طاهر الفؤاد من ارجاس الشهوات واوضار الغايات السافلة فاضطرب فؤاد عزيز من هذا الطلب الفجائي الذي منظهر على أثر آثار تدلهه وغرامه المبهم على والدته وعند ئذ اصفر وجه عزيز ولكنه فاجأمه بقوله : دعينا ياأماه من الكلام في مثل هذا الموضوع فاني اشعر بدوار في راسي واخاف ان ينقلب هذا الدوار الي صداع تسوء عقباه فاريد الراحة قليلا في غرفتي الخصوصية لعلي استعين بالنوم على هذا الدوار فيزول

فعند ذلك هزت والدته رأسها كأنها تخبره بأنها لم تقتنع بحيلته ولم تدخل عليها دخيلة في أمر غرامه ولذلك فأجابته بقولها : وهل تستطيع النوم يابني ان المحب لاينام :

فقال عزيز لا تصدعي ياوالدتي رأسي بالحب وعباراته الجارحة لعواطفي فاني لست بذي الهوى العذرى حتى تلوميني بل معظم علائقي بتلك السيدة . . . . . قاطعته أمه بقولها لاتقل السيدة فأنها فاجرة عاهرة امتطت صهوة الغواية والفحش جهارا وارتكبت من الدعارة عارا وشنارا . مزقت جلابيب الشرف هتكت سجف المروءة . غررت بشاب شريف وتريد ان تهدم مجد مستقبله بفعائلها النجسة الرجسة . لاتقل امامي عنها مرة اخرى . انها شريفة وأني أقسم بشرفي وشرف آلي جميعا انك لو تماديت في غرورك بها لاعلنن براءتي منك الى الابد ولاثيرن خواطر آلك جميعا عليك فاختر لنفسك ما تحلو واعلم انك لطيشك تستخف بالحب ولم تعلم ان الشاعر الحكيم قال

والحب اول مايكون مجانة فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

فانصرف عنه قبل التمكن منه والا فياخيبة أملك وطول شقائك وهاأنا ذاهبة الان عنك ففكر في عقبى تهورك في غوايتك وانصر الفضيلة والوجدان كنت لها أهلا والا فياويل العائلة بك وياويلك من مستقبل مظلم يتهدد حياتك باخطار جسيمة وموت أدبي

لاتقوم منه بسبب غرامك بسيدتك الطاهرة

ثم ان الوالدة بعد هذه الحدة الزائدة تركت ولدها يتفزز ويفزع كان به جنة ويخاف من حدة والدته ومن نتائج اتساع الخرق عليه فغاص في لجة عميقة ليس لها قرار وغاب في غوصته فلنتركه في هذه الحالة حتى نعود اليه من عند خبيبته التعيسة بعد وصول الكتاب المزور اليها

﴿ الفصل الثالث ﴾

ان حبيبة عزيز بعد ان كتبت الى حبيبها كتابها المرقوم وارسلته مع كاليرو لم تطق صبراً على الانتظار فرجعت ان تنتظر الرسولة في احدى نوافذ القصر تسلية لنفسها القلقة وتعليلا للآمال بالنوال فذهبت الى نافذة واسعة وأطلت منها وبينما هي ترى الرائح والغادي اذ بصرت بعربة عالية تقل حبيبها مع صديق له فخفق قلبها واتبعت العربة نظرها وحسبت الف حساب في نفسها وأخذت تبحث في فكرها عن الجهة التي يقصدها عزيز فان كانت جهة غير قصره فلا تصادفه كاليرو متى ذهبت بكتابها اليه فكان هذا الفكر سبباً في اضطراب ألم بفؤاد

(٥٤٠) ولبث يذهب بها مذاهب شتى بيد أنها لما رأت كاليرو قد ابطأت ولم تحضر على وجه السرعة ظنت انها تنتظره حتى يعود الى قصره وعلى ذلك احاطت بها الهواجس الكثيرة حتى جاء وقت الغذاء ودعيت الى المائدة فاظهرت انها لا تستطيع التناول فانصرفت الخادمة عنها ولم تلبث آن حضرت اليها شقيقتها تسألها لماذا لم تحضر الى المائدة حسب عادتها وكانت وقتئذ مطلة من النافذة وبينما هي كذلك اذ لاحت لها كاليرو على عربة تعدو جيادها عدوا حثيثا فتفرست في وجهها فوجدتها مسرورة فانتعشت وهمت لتقابلها على السلم فوجدت اختها امامها فاندهشت : فقالت لها الشقيقة لاترتاعي يا اختي فانما جئت اليك لاعلم سبب امتناعك عن الطعام اذ هذا أمر أقلقنا جميعا خصوصا وان الوالدة أشفقت عليك وخشيت ان يكون قد ألم بك انحراف وكذلك والدنا قد عز عليه امتناعك . وكانت تسمع من اختها هذا الكلام وعيناها تتقلبان فلحظت اختها شيئا واقرا في نفسها ففاجأتها بقولها : مالي أراك يا اختاه مشغولة البال مبلبلة الافكار

— لم يكن مما تظنين شيء واني لمنتظرة كاليرو اذ كنت أرسلتها في أمر يهمني

وها هي قد حضرت ثم التفتت الى الباب واذا بكاليرو تحني رأسـها إمام الاختين علامة الاحترام . فقالت لهـا لقد أبطأت يا كاليرو والغذاء ينتظرك فهيا بنا لنتناول الطعام ثم نعود : هيا يا أختاه بنا فأدركت الاخت ان بين كاليرو وشقيقتها سراً عميقا بيد أنها جارتهما وأظهرت أنها لم تدرك شيئا من أحوالها حتى اذا انتهيت الى المائدة جلسن حولها وتناولن الطعام ولم تدر كاليرو ماتضمنه الجواب الذي تحمله بل توهمت انه جواب غرام سيكون مدعاة الى سعادتها هي وزوجها . ولـما جلست حبيبة عزيز على المـائدة سألتها والدتها قد أشغلت أفئدتنا ـ لماذا لم تحضري يابنتاه كالعادة من غير دعوة . ؟ .

ـ اني يا أماه كنت تناولت في الصباح جانبا من البيض فلم اجد شهية للطعام عند الظهر ولولا أن أختي العزيزة جاءت الي وأظهرت لي أنك أيتها الوالدة الحنونة مشفقة علي وان والدي العزيز لا يكون مسروراً لما جئت ومع ذلك فاني أجد في نفسي قابلية للطعام فوق العادة وهذا دليل الصحة التامة

ـ الحمد لله على ذلك : واني يا ابنتي أخاطب والدك العزيز في أمر ولكني أراه يمانعني فيه مع علمي بأن رجائي لديه مقبول

ـ وما هو ذلك الامر يا والدتي

ـ ان الدكتور (صادق) يريد الاقتران باختك وأرى أنه جدير بذلك خصوصاً وقد اختبرنا أمانته واخلاصه في خدمة بيتنا ولكن والدك يراه احقر من ان يصاهره مع أنه لو وجه اليه عنايته لامكنه ان يجعله أهلا لمصاهرته خصوصاً ووالدك لا يعجزه ان يرقي اي أنسان مادام في منصبه الخطير ؟ . فماذا ترين يا بنتاه

ـ الرأي في هذا لاختي لانها صاحبة الشأن . فهل أخذت الوالدة رأيها . ؟ .

ـ لا أرى أختك في حاجة الى ابداء رأي لانها على بينة من صدق وأمانة الدكتور . . . . . : ومع ذلك فلا بأس من أن تقول عما في نفسها : فما رأيك

ـ لا رأي عندي ياوالدتي الآن تجعلوا حديثكم في أمر الزواج بعيداً عني لاني أخجل كثيراً فلا تثقلي كاهلي يا أماه بهذا الحديث خصوصا وأن رأيك أيتها الوالدة ورأي سيدي الوالد لا يتأتى خروجي عنه . اذ لاحيلة للبنت الان تطيع أبويها

ـ هذا ما أعهدك عليه يابنتي لانك مطيعة ومحافظة لحقوق الوالدين وحيث

تريدين أن يكون حديث زواجك حديثاً عنك فانت مخطئة في هذا الفهم اذ ليس بيننا أجنبي غير كاليرو وهي صديقة اختك فلا تنتقد شيئاً يقع في بيتنا

— أجل أني لمنتقدة ذلك ولكن أرى أن تجعلوا الرأي خالصاً لك ولسيدي الوالد في غرفة خصوصية والا فاسمحوا لي أن أبتعد عنكم

— فقامت حبيبة عزيز وقالت ان الطعام قد انتهي ورأي أختي في محله فهيا بنا يا كليرو نذهب الى غرفتي الخصوصية

— طوعاً لامرك أيتها السيدة

وكانت الفرصة مريحة لفؤاد حبيبة عزيز وكاليرو اذ ما لبثنا ان قامتا وغسلتا أيديهما وانحدرتا الى الغرفة الخصوصية . وكانت الاخت تنظر الى أختها مستغربة أحوالها ولكنها لم ترد تكدير صفائها مع صديقتها وصرت في نفسها أن تسترق السمع لتعلم كنه السر الذي بينهما . فلما دخلت كاليرو مع الحبيبة الى الغرفة اغلقت الباب خلفهما واخذت تقول :

اني نظرت فيروز ساعتين بعد ان أخذ مني كتابك ولما أحضر الرد كنت قد أدركني النوم ولعل سيدي عزيزاً معذور فاني علمت أن السيدة والدته كانت بالقصر

— أرني الجواب فاني قلقة البال

— أنا لا أسلم الجواب الا بعد أن أستلم المكافأة

— لك ذلك ياصديقتي ولكن بعد تلاوته

— تفضلي وسلمتها الكتاب ففضته بسرعة وما جاءت على آخر سطر فيه حتى سقطت مغشياً عليها وسقط الكتاب من يدها فاندهشت كاليرو من هذا الحال وظنت ظنوناً كثيرة جعلتها تتعزز وترتعد كأن بها جنة ثم أخذت الكتاب وكان بالعربية فلم تفهم منه كلمة فظلت باهتة الى ان أفاقت حبيبة عزيز من غشيتها ونظرت في وجه كاليرو وقالت

تريدين أخذ المكافأة على ذلك ياصديقتي : : : : ؟ : : أواه هذا ما كنت أتوقعه في هذا اليوم النحس . أتريدين أخذ مكافأة على فصم العرى . أتريدين أخذ مكافأة على قتلي وتهيئة جدث لادفن فيه الى الابد . أتريدين يا كاليرو أخذ مكافأة على هجران مالك قيادي واصراره على الجفاء وقطع أوصال الود على غير انتظار : على ذلك تريدين أخذ مكافأة يا كاليرو . ولكني أعطيك المكافأة اذا أنت أتيت

لي بسكين ماضية لاخلص بها نفسي التميسة من هذه الحياة الشقية المفعمة بالاخطار والمهالك : تلك الحياة الشريرة التي جنيت فيها على نفسي وعلى من احب . آه يار باه وكان عزيز يدرك ما أرى وأشعر من حبه لما باغتني بهذه المباغتة الاليمة التي أفضت بي الى الوساوس وستفضي بي الى الموت

كانت كاليرو تسمع من الحبيبة هذه الاقوال مذعورة مبهوتة لانها لم تدر شيئاً من أسبابها فلبثت صامتة جامدة لا تني على شيء ولا تدرى ماذا تفعل الى أن صرخت حبيبة عزيز صرخة دوي لها القصر فجاء آلها والتفوا حولها مذعورين من هول ما رأوا اذ وجدوا تلك المسكينة صريعة ودموعها تحدر كالسيول الجارفة ولا حراك بها فأخذتهم دهشة وحيرة وأخذوا يسألون كاليرو عن سبب صرعها فأبدت لهم الجهل بذلك وأخفت الجواب الذي هو سبب هذا الاضطراب فامتلأ القصر كدرا وأسرع الخصي الى الطبيب (صادق) لينظر في هذه الحالة المريبة

استمرت حبيبة عزيز في غشيتها حوالى النصف ساعة ثم أفاقت ولسانها يقول على ذلك تريدين المكافأة يا كاليرو حسبك الله ياعزيز أضعت أملا كان قد ارتبط بأسباب السعادة . فاذا جنيت حتى تكافأني هذه المكافأة القاتلة ولكن لم أزل أعذرك ياحبيبي . . . وبينما هي كذلك اذ صرخت أمها في وجهها قائلة ما هذه الخرافات يا ابنتي هل أصابك جنون جملك تهذين وتهذرين . ؟ . فانتبهت حبيبة عزيز وأدركت خطأ نفسها ثم مالت على أمها تقبل يديها ورأسها وتقول لا تؤاخذيني يا أماه ولا ترتاعي من حالتي هذه فانما هي نوبة عصبية تنتابني في بعض الاحيان

— ماهذه الاحوال يا ابنتي ومتى كانت تأتيك هذه النوبات ولم أرها حلت بك الا منذ صادفت كاليرو

— لا يا أماه هي كانت تأتيني بسهولة فكنت أستخف بها وأحسبها دوارا عاديا ولم تثقل وطأتها الا في هذه المرة . فقال لها أبوها . وكيف تخفين علينا هذا الامر المكدر الذي جعلنا جميعا في هلع وجذع . ؟ . أيحسن بك يا بنتاه أن نكون في مثل هذا الحال وكنا نريد الراحة والنوم قليلا حسب العادة . ؟ . كم تزعجيننا بأحوالك وأهوالك . فان كان المرض عضالا فلا بد لنا من الاخذ في أسباب علاجه

ــ لا ياوالدي الكريم ليس الداء عضالا حتى يحتاج للعلاج . ولا علاج له الا الراحة والنوم فتفضلوا علي براحة قليلة لعلي أستجمع قواي

ــ لا . لا . لا بد وان الدكتور صادق يكشف لنا أمر هذا الداء حتى نكون منه على بصيرة فقالت أمها : هكذا يجب . بيد أن أختها كانت سمعت الحديث الذي دار بين كاليرو وأختها . فقالت

دعوا أختي تستريح وأنا معها ولا بأس بها فانها نوبة وزالت فاتركوها كما قالت تستجمع قواها وعند حضور الطبيب يدخل عليها و يفحص حالتها التي لا أرى موجبا لفحصها . : . ثم تنهدت الاخت ونظرت شزرا الى كاليرو . أما هذه فحاولت أن تختفي من بين القوم فلم تمكنها أخت حبيبة عزيز من ذلك بل قالت لها : لا تخرجي فان أختي ربما تحتاج اليك بعد انصراف آلها عنها . . فاصفر وجه كاليرو ورضخت ثم خرجت الام يتبعها الوالد وجميع الحاشية و بقيت حبيبة عزيز وأختها وكاليرو .

ان آل الحبيبة لما انصرفوا عنها وتركوها مع أختها وصديقتها كاليرو : : شعرت هي بخطاء نفسها فظهرت عليها علائم الكآبة والحزن وأخذت تندم على ما فرط منها وتبدي أسفا عظيما فرأت أختها أن تخوض معها في حديث تبرهن فيه على وجوب ائتمانها على الاسرار وانها أولى من غريب يدخل في أحوال تتعلق بدخائل الفؤاد فقالت

لا تحزني يا أختاه فانك أنت الجالبة لنفسك هذه التعاسة وانشغال البال ولو كنت تعرفين حنان الاخوة لما أبهمت على أمرك الى هذا الحد وما كنت أحسب ان أختا تخفي عن شقيقتها أسرار دفينة في صدرها وتطلع عليها الاجانب الا اليوم فقد علمت وتحققت اني لديك أيتها الاخت الشقية لا أستحق أن أكن مثل غيري . والا فلماذا تخفين على أحوالك وأنا أعلمها وعلى بينة منها ؟ .

فنظرت اليها حبيبة عزيز نظرة دلت على انها مندهشة من وقع كلامها ثم قالت :

ما هذه المعميات المؤلمة والرموز الجارحة للعواطف يا أختي وما هي الاسرار وما هي الاحوال التي أخفيها عليك وأطلع عليها سواك . بل ما هـذه الظنون والاوهام التي جعلتني أشك في حنانك علي : انك تعلمين يا أختي أنني عصبية والدوار العصبي أمره معلوم وسيرى طبيبنا العاقل وخطيبك الفاضل ان كلامي صحيح . فلماذا تتوهمين أمورا غير حقيقية وترميني بأن عندي أسرارا وأحوالا دفينة في نفسي . ؟

ــ لا يا أختاه أنا لا أظن السوء بشقيقتي ولا أرميها بأوهام وانما أنا أعلم حقيقة ثابتة في نفسي عرفتها من حديث دار بينك ياأختي و بين صديقتك كالبرو فانتفضت حبيبة عزيز كما ينتفض العصفور وقالت لأختها متى يا أختاه سمعت حديثا دار بيني و بين كالبرو

ــ قبل الصرعة بدقيقة

ــ اذا علمت كل شيء يا أختي (ثم بكت وأمطرت من مآقيها دموعاً تحدرت كالسيل على خديها)

ــ نعم علمت يا أختي ولا بأس عليك فطيبي قلباً وقري عيناً واعلمي أنني يهمني شأنك فلا تجزعي من وصول أحوالك الى علمي فاني احرص على احساساتك من سواي . بيد اني أريد الاستفهام عما أجهله من دخائل موضوعك حتى اعينك على ماتشتهين لانك اختي الشقيقة ففرحك فرحي وحزنك حزني فهل ترين ياأختاه اطمئنانا في فؤادك على افادتي بكل ما أريد أن أعلمه من أمرك : : ؟ : :

ــ آه . . لا أستطيع الكلام الآن في الموضوع لاني في ذهول من أمري وأخشى سوء المغبة على بيتنا هذا

ــ لا لا . انت مخطئة يا أختي في وهمك هذا . فانك على ماأعلم تحبين شريفا لايشينك الاقتران به ولا يعجز أبوك عن اقناعه بزواجك كائنا من كان . لان أبانا رجل شريف خطير له النفوذ العظيم في هذه البلاد

ــ اقتراني به في وسع ابي : وهل ابي يعلم بأمري وافضيحتاه

لا . ان أباك لا يعلم شيء من أمرك ولا أريد أن أعلمه الآن حتى تتدبر في الامر لعلنا نجد سبيلا الى الراحة ومخرجاً من هذا الضيق العظيم

وبينما هما يتحادثان علنا في الموضوع اذ دخلت خادمة وسلمت ثم قالت : ان حضرة الدكتور (صادق) قد حضر يريد فحص حالة سيدتي و يستأذن بالدخول . فقالت لها أخت الحبيبة : دعيه يستريح ريثما تستعد اختي لملاقاته اذا دعت الحال لى ذلك . فخرجت الخادمة أما أخت الحبيبة فانها نظرت اليها وقالت

يجب يا اختي ان تتظاهري بالمرض وتصفي للدكتور حالة الدوار ولا تظهري أنك لست بمريضة لئلا يظن آلنا بك ظنونا خطيرة ولنترك كلامنا في الموضوع حتى

يخرج الطبيب ثم نعود

— تلك الامر يا أختي الحنونة فكوني معي الى أن يأتي الطبيب ويخرج

— لا أستطيع ذلك ياحبيبتي نظراً لانه خطيبي . ثم احمرت وجنتاها وتأوهت وهمت لتخرج . فنادتها أختها وقالت لا بد من حضورك معي الى أن يخرج الدكتور . فرأت الاخت ان لا بد من ذلك وحركت جرس الغرفة فحضرت الخادمة وسلمت . فقالت لها : دعي الطبيب يدخل ثم أنزوت في ركن واستعدت أختها لمقابلة الطبيب فلما دخل عليهما حياهما تحية دلت على عواطفه نحو المنزوية في ركن الغرفة فاضطربت احشاؤها وتغيرت سحنتها وعلتها حمرة الخجل والوجل فلحظت أختها المتمرضة حالة أختها فاسرت ذلك في نفسها ووقر في فؤادها ان أختها مثلها

أما الطبيب فانه قال للمريضة : لا بأس عليك ياسيدتي . ما المرض الذي تشكين منه؟

— اني أيها الطبيب اشعر بدوار متقطع ينتابني كل شهر

— ومتى اصابك هذا الدوار يا سيدتي مع أني لم اعلم ذلك بصفتي طبيب القصر

— لا أتذكر أيها الطبيب فدع البحث في ذلك فاني لا أستطيع الكلام

— لا بأس عليك ياسيدتي فطيبي قلبا وخذي المنعش واشربي منه قليلا فيزول كل ذلك ولا تجدين بعده أمرا مكدرا ثم التفت الدكتور الى خطيبته وقال لها . أتسمح لي السيدة بان اسأل عن صحتها

— الحمد لله صحتي جيدة وعلى أثر ذلك غملت وجهها وانصرم حبل قواها وكادت تقع على الارض صريعة فشعر الطبيب بحالة خطيبته فبادر بالانصراف بعد ان أوصى المريضة (بأمور تتبعها)

فلما خرج الطبيب استجمعت خطيبته قواها وتحسست من امره فوجدته قد ابتعد عن مقرها فدنت من اختها ونظرت اليها بيد انها لم تستطع كلاماً فسكتتا سكوتاً عميقاً وعيناهما تتكلمان وتتبادلان الحديث عما قر في الجنان وظلتا كذلك وكاليرو نظر اليهما مكدرة الخاطر غير مسرورة الفؤاد حتى وقع نظر حبيبة عزيز على كاليرو فشعرت بباعث داخلي بعثها على الكلام فقالت مخاطبة لكاليروا

— متى يا كاليرو تركت قصر عزيز ؟ .

— عند الظهر ياسيدتي

— اذا هو الان هناك

— يجوز أن يكون هناك ومع ذلك فلماذا تسألين واذا كانت سيدتي تسمح بأسباب صرعتها الفجائية التي كدرت صفونا جميعاً هل في الجواب شيء مكدر

— نعم ياصديقتي بل كله مكدر لانه نذير الفراق الابدي والصد السرمدي يريد به عزيز ان اسكن رمس الموت وأنا حية في الاحياء

— كيف ذلك ياسيدتي

— الامر كما اخبرتك ياصديقتي ثم انعطفت الى اختها وقالت لها . مالذي اسكتك يا اختاه فهل تسمحين بالاختلاء معا قليلا لعلنا نتدبر أمرا يكون من ورائه ارتياح خواطرنا

— لا بأس يا أختي فلتتفضل صديقتنا كاليرو لتستريح الان وتعود بعد غروب اليوم ربّما نكون قد دبرنا أمرنا وحالنا . عندئذ استأذنت كاليرو بالانصراف وخرجت من الغرفة وقصدت منزلها وتركت الحبيبة مع شقيقتها التي أخذت أختها من يدها وأجلستها بجانبها على متكأ بقرب النافذة وقالت

يجب الان يا شقيقتي أن نسلك طريق الحكمة فلا نتهور في أعمالنا ولا نستخف بأمورنا حتى لا يطلع آلنا على حالتنا ولا يعرفون مكنونات صدورنا . ويلزمك أنت خصوصاً أن تتئدي في حبك فلا تتركي لضميرك عنان التفكر في الهوى ولا تفتحي بابك لكاليرو كل آن اذ ربما تظهر الظروف أمرك وينكشف الستر عن هواك فتسوء المغبة ولا تحمد النتيجة . واعلمي يا أختي ان الدكتور (صادق) قد تمكن من فؤادي وأرقني حبه من منذ عامين ولكني صبرت فلم أبد أي حركة مثل حركاتك تسيء الظن بي والله يعلم بحالتي حينما دخل علينا في هذه الساعة فقد كدت أن أفتح ذراعي لاحتضنه وأقبله في فمه لولا قراءتي عاقبة ذلك

— نعم قد أدركت انحلال قواك ورعدة جسمك وانخفاض صوتك بالحنو والاشفاق ولكن ما العمل أيتها الشقيقة بعد ان بعث الي عزيز بسطور القطيعة والهجران

— لا تيأسي يا اختاه وقد يجوز انه يختبر حبك بمثل هذا المكتوب فاصبري قليلا حتى اذا غاب عنك رسوله فابعثي اليه بكتاب آخر تستوضحين منه الحقيقة وتستطلعين فؤاده اذ ربما يكون ثمت مادعاه الى التخلي عن حبك وانت تجهلينه

— نعم الرأي هذا وليتنا لم نأمر كاليرو بالذهاب عنا حتى كنا نبعث معها بكتاب

نذكر فيه ماتقولين

— في غد يكون ذلك انشاء الله ويلزمك الآن ان تنفضي عن كاهلك غبار الاوهام وتتهيئ للرياضة على ضفاف البحر اوفي طريق الاهرام معي لان خطيبي قد بعث الى رسوله قبيل حضوره هنا يدعوني لمقابلته في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم في هذا الطريق

— اخجل ياختاه من مقابلة خطيبك وجهاً لوجه في هذه الظروف

— كيف ذلك ونحن في الهوى سوى وماجاز على أحدنا جازعلى الآخر خصوصا وان خطيبي لوعلم ذلك فانه يسعي في تدبير امرك بفرط ذكائه وحسن تدبيره

— هيا بنا نستأذن الوالد أوالوالدة وعلى الله قضاء الحوائج

ثم قامتا وقصدتا غرفة الوالدفالفتاه جالسا يطالع بعض الجرائد الافرنكية وحينما وقع نظره عليهما هش وبش وأمرهما بالجلوس فأبيا وتقدمت اليه خطيبة الطبيب وقالت له . ان شقيقتي ترغب في الرياضة الآن على ضفاف البحرلترويح ذهنها وتسلية فؤادها من عناء المرض الذي انتابها اليوم وصرعها مرارا . فليأمر والدي باعداد عربتنا الخصوصية لنركبها معا ونذهب في طريق الجزيرة فنقضي فيه بضع ساعات ونعود

— اضغطي على الجرس ليحضر مرجان فاخبريه ليأمر السائق بأمرك

فما كاد ينتهي الوالد من هذه العبارة حتى اسرعت حبيبة عزيزنحوالجرس ودقته مرارا وظلت تضغط عليه باصبعها الى ان جاء مرجان وأمرته باعداد العربة الخصوصية المغطاة فأجابها بالطاعة ونزل حيث ابلغ السائق ذلك الامرفلم يمض الا القليل حتى عاد واخبر الشقيقتين بانتظار العربة داخل القصر فنزلتا بعد ان تهيئتا وتزينت كل منهما بافخر زينة خصوصا حبيبة عزيزفانها ارسلت خلف ظهرها شعورا خلتها السلاسل أوعناقيدا جلاها الوابل وأتزرت بازاريخطف الابصار لمعانه وخمار تركي رقيق لا يكاد يحجب معاني الجمال الموفورفي وجهها وكانتا قد أفرغتا جعبة التزويق والتنميق لتزدادا رونقا ورواء ثم ركبتا العربة وأمرتا السائق أن يمم طريق الجزيرة حيث يلتقيان مع الدكتور صادق فسارت العربة والخيل تنهب بها الارض نهباً . وكان صادق قد سبقهما الى حيث ينتظر حبيبته في ناحية الطلبية في سبيل الاهرام المسلوك وكانت حبيبته تعلم ذلك فلما وصلت العربة بالشقيقتين الى الجهة التي بها الدكتور وقف السائق وكان

يعلم بعض الشيء عما بين سيدته الكبرى والدكتور صادق من معاني الود وأسرار الهيام والغرام فلما وقفت العربة نزلت الاختان وتسرب السائق بعربته في الاحراش بعيد عن معهد اللقاء ... وكان الدكتور صادق ينتظر العربة بفروغ صبر وما كادت تصله حتى تأهب للقاء حبيبته لولا ان رأى معها أختها فرجع مدهوشا وظن انه أخطأ في مبادرته بلقاء حبيبته فوقف صامتا والاختان بجانبه الى أن نظرت حبيبته اليه وحيته تحية ود فالتفت اليها التفاتا معناه الاستفهام عن سبب اصطحابها لاختها التي كانت مريضة وكان يعالجها فتبسمت ابتسامة معناها ان الاختين قد وقعتا في شرك الغرام وأصبحتا على مذهب الهوى تخشيان الهوان . فزال ما كان قد خالج فؤاد صادق من الروع والحذر وانطلق وجهه بالبشاشة والهشاشة وتمشى معهما بالتؤدة بضع دقائق فهمست حبيبة عزيز في اذن أختها أن تفاتح حبيبها في علاقته بعزيز هل هي أكيدة أو متراخية . فكان ذلك الهمس سببا في أن حبيبة الدكتور انعطفت عليه وأخذت تهمس في آذانه همسا طال وهو تارة يتبسم وطوراً يقطب وجهه وكان معنى الهمس الدار بين أخت حبيبة عزيز و بين الدكتور صادق .

انى أيها الدكتور الحبيب تعلم ان الهوى مؤلم ومحفوف بأخطار كلها هوان وأنا قد وقعت في شرك حبك الذي أرجو أن يكون سبب سعادتنا وقد أصيب أختي بداء الغرام ولكن حبيبها (عزيز) يظهر أنه لم يجد في نفسه ما يدعوه الى الانعطاف عليها ولا ندري السبب في ميله الى مقاطعتها فهل لك أيها الحبيب بعزيز هذا علاقة ود واخلاص يحتمل اباحته لك مما يجد نحو أختي العزيزة أو ترى ان العلائق بينكما لا تحتمل هذه الاباحة . ؟ . أرجو مولاي الحبيب أن يتبصر في تدبير يقي أختي هذه مصارع جفوة الحبيب وهجره لتكون أنت قد تفردت بمعنى الكمال الذي يجملك في عيني مفديا بأمي وأبي ...

فقال الدكتور لحبيبته آه ياحبيبتي ان عزيزاً شاب يرى نفسه فوق الناس ونفسه مدفوعة بدافع النزق والطيش دائما وقلما نجد سبيلا الى اخضاع ضميره الا بسطوات العشق القاهر للجبابرة والداهية تكون عظمى اذا كان قلبه جامداً وليس شاعراً بشمائر الغرام الذي يجعل صاحبه طوع أوامر من يهواه . ومع ذلك أتركيني أفكر الليلة في أمر يكون من ورائه نجاح أختك أيتها الحبيبة المفداة بالروح والمال فطيبي قلباً

وكوني واثقة بالنجاح الاخير . فانثلج صدر حبيبته والتفتت الى أختها تبعث في نفسها روح الامل بنوال المقصود من حبيبها عزيز . . . . . . فاستبشرت بالخير وسارت مع أختها والدكتور الهوينا وتبادل الجميع أسرارا جعلت نفس كل منهم تتوق الى الخلوة تفكر في مستقبل مطل عليها من نافذة محاطة بالاشواك المؤلمة ومحفوفة بالمكاره المكدرة ولبثوا كذلك حتى غابت الشمس وتوارت بالحجاب وساد الظلام ومدرواقه فوجد الدكتور فرصة تمكنه من الضغط على يد حبيبته وتبادل ماكان محظورا قبل حجاب الظلام وأخذ الدكتور بيد حبيبته ناحية عن أختها التي وقفت فريدة وحيدة كئيبة تفكر في تمتع أختها بحبيبها وتعذيب ضميرها بهجر حبيبها فتذوب وتتوجع وتصعد أنفاساً حارة تقلب برودة الجو الطبيعية الى حرارة غريبة . كل ذلك والدكتور مع حبيبته في لهو باجتناء ثمار اللقاء وتبادل معاني الود في معهد الصفو ولم يفكرا في حالة تلك التعيسة التي تشردت أفكارها وانغمست في حمأة الوسواس والهواجس تذرف الدموع فتسيل على خديها وتتوجع ولا من يحن عليها وتطق لسان حالها

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو ... فهذا له حلم وهـذا له حد
هما استوطنا جسمي وقلبي كليهما ... فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشـا وتحالفا ... على مهجتي أن لا يفارقها الجهد
فأيـ طبيب يستطيع بحيلة ... يعالج من داءين ما منهما بد

ثم أغرورقت عيناها واستسلمت لداعي الوهن وخور القوى

وبينما هي في هذا الموقف المظلم اذ سمعت وقع أرجل الخيل وسير العربة ميمما نحوها حتى دنت منها عربة مغطاة ففتحت تلك المسكينة عينها قليلا لكي تخلى السبيل لها ولكنها لم تلبث أن رأت من يسألها من هي وما سبب وقوفها ويريد أن يركبها معه في عربته فامعنت فيه فلم تعرفه فقالت له . يا هذا دعني وشأني واذهب الى حيث تقصد وكان هذا الانسان المفاجئ شابا من أهل الرقاعة ذا ثروة طائلة ذهب فيها مذاهب الترف المفرط وتعود التقاط الغواني الشاردات من مثل هذا المحل فظن أنه ظفر بفرضـه في هذه الليلة من غير تعب ولا اعياء . وكذلك أخذ يطيل معها الخرق في القول والهذر الهراء ولم يقف عنـد حد القول بل حاول اكراهها على أن تركب معه لولا أن صفعته بكفها على وجهه وصرخت صرخة عالية استدعت حضور

الدكتور مع أختها فوجدا هذا الشاب يعبث بصيانة هذه التعيسة فزجراه فلم ينزجر فحاول الدكتور أن يشاكسه فخفق فؤاد حبيبته وخافت عليه ولم يجل بخاطرها شيء من قبل أختها

ظل الجميع في هذا الحال حتى أتت العربة التي أتت بحبيبة عزيز وأختها ووقفت فتفرس الشاب الخارق في العربة فعرفها وعرف سائقها فترك القوم ناحية وركب عربته وأمر سائقها بالسير الحثيث ففعل اما الدكتور صادق فانه قال لحبيبة عزيز ما السبب يا سيدتي في مخارقة هذا الشاب الفاجر . . . . ? . فقالت . ان السبب بينه واضح وهو وقوفي وحيدة في هذا الفضاء الواسع . . . قالت ذلك وبكت بكاء مراً وأمرت سائق العربة بفتح بابها ثم ركبت فاتبعتها أختها وسارت العربة بهما والدكتور باهت يريد أن يردد لذة اللقاء على فكره ويطارد الهواجس الكثيرة التي أفعمت فؤاده فلم يستطع . خصوصا والذي زاده رعدة وخوفا هو انه لم يحصل من حبيبته على موعد لقاء ينتظر

ولا تسل أيها القارئ عن موقف الدكتور فانه في الواقع حرج جداً . اذ ذهبت سكرة اللقاء وأتت فكرة جديدة جعلته ينقبض وينبسط ويرتعد ويسكن . وذلك أنه خاف أن يكون الشاب الذي لقيه يعبث بصيانة اخت حبيبته عارفا له ولعربة الحبيبة فينم بما رأى ويذيع سر هذا الاجتماع فتكبر الفضيحة ويعظم العار ويتسع خرق الشنآن . ولذلك ظل واقفاً يضرب أسداسا في اخماس ويدير فكره الى التطير والتشاؤم من ساعة اللقاء ! وقد استحوذت هذه الافكار المخيفة على عواطفه حتى فضل أن ينتظر عربة ذلك الشاب ويركب معه ليزيل من نفسه بعض مارسخ فيها

فنترك الدكتور صادق ينتظر عربة الشاب الخارق ونرجع الى حبيبة عزيز واختها والعربة سائرة بهما فانهما بعد ان سارت العربة شعرتا بخفقان غير اعتيادي فقالت حبيبة الدكتور صادق : اني يا أختاه أشعر بخفقان غير اعتيادي . فقالت لها اختها وأنا كذلك . يا أختي وكل هذا سببه الاندفاع في تيار الهوى من غير حذر ولا قراءة العقبى . وبينما هما كذلك اذ فاجأهما السائق بقوله : انكما يا سيدتاي تجهلان هذا الشاب وهو ابن دولة الامير : : : : جارنا وقد عرفني فأنصرف أدبا : فكان نزول هذا الخبر على فؤاديهما كنزول الصاعقة على بعض بيوت الوزارات في العصر

الأخير . ولذلك ذهبت أفكارهما مذاهب الشتات وظلتا في كدرحتى وصلت العربة الى منزلها فنزلتاودخلتا غير مسرورتين

﴿ الفصل الرابع ﴾

ان قوما يلحون في حب سعدي　　لا يكادون يفقهون حديثا

سمعوا وصفها فلاموا عليها　　أخـذوا طيبا وأعطوا خبيثاً .

تركنا عزيزاً يغوص في بحر همومه لعله يجد سبيـلا الى السلامة من عقبى هول حبه الذي عذلته امه فيه ويوشك أن توغر عليـه فؤاد آله فلبث كذلك في تيهاء الافكار يهيم في كل واد فتارة يتمثل أمام فكره جمـال حبيبته ورشاقة قدها فيتلذذ لذة هذه التصورات التي تشاكه الاحلام وطوراً يستحيل التصور الى أمه وهي واقفة على دخائل غرامه وتؤنبه تأنيباً مراً وتعنفه بعزل الهم فيتفزز ويرتعد ويذوب قلبه هلعاً وجزعاً وتتحدر مهجته خوفاً وفزعاً : وبينما هو في هذه التخيلات المنحلة لجثمانه والمازمة لقواه اذ دخلت عليه خادمة ودعته الى تناول طعام الغذاء فانتبه مذعورا كأن قد كان نائما يرى أحلاما مروعة ثم قال : اني لا أستطيع تناول الطعام الآن فلا تنتظروني

— ان مولاتي الوالدة تنتظرك لسبب يهمك

— وما هو السبب المهم الذي يجعل والدتي تنتظرني : ؟ :

— انها تريد أن تحادثك بشأن أراها مهتمة به فان اجبت فلك الفضل وان لم تجب فما علي ياسيدي الا البلاغ

فلما سمع عزيز كلام الخادمة ظن أن أمه تريد أن تحادثه في امر الزواج فاصر على الامتناع وقال للخادمة . اعلمي والدتي أن النوم غالب على أمري فلا أستطيع النهوض الى المائدة . فذهبت الخادمة واخبرت والدة عزيز بامتناعه عن تناول الطعام وأبدت عذره الذي أبداه وهو غلبة النوم عليه فاستحوذ الحنو الوالدي على فؤاد هذه الوالدة البارة وقامت من فورها وقصدت غرفة عزيزها فلما دخلت عليه وجدته مكبا على وجهه مفكراً في أمره فقالت له

— ماهذا يابني . وما الذي منعك عن تناول غذائك . كيف استطعت مخالفة أوامري والافتيات على مطالبي حتى في الزم شئ لحياتك وهو الطعام . ؟ . اذا كان الحب أنساك نفسك وادبك مع آلك فعليك وعلى أهلك السلام . أي حب هذا

الذي خلك بعواطفك فتكاذر بما وجملك تحارب مقاصدي النافعة لك ولو كان حبك مرتبطا بمن تستحقه لما لمت عليك بل كنت أعذرك ولا أعذلك ولكن توخيك حب من لم تعتب على نفسها وتتق الله في عرضها وشرف آلها هو الذي أهاض فؤادي عليك ودفعني الى مصادرتك فيه فاختر لنفسك فتاة صالحة لجدك وأنا أساعدك في الحصول عليها والا فأنا غير راضية ومع ذلك فليس هذا وقت كلام وجدال فهيا بنا للطعام

— أنا ياوالدتي لم أمتنع من الطعام لسبب من كل تذكرينه ولا أدري ماهي الدلائل التي استدللت بها على تمكن الغرام من فؤادي حتى تعذليني . أرجو منك أن تتركي هذه الاوهام وأنا على أثرك حاضر الى الطعام

— أنا لا أبرح الى المائدة الا معك فاذا تركت الغداء واستسلمت للاهواء فلا باس من مشاركتك في هذه الضراء ولست أول والدة شاركت ولدها في ضرائه وسرائه .

— لا . لا . ها أنا قائم معك فلا تتكدري — ثم انه استجمع قواه ونهض مع أمه يردد في نفسه معنى البيت التالي

قال العواذل ما الذي استحسنته　　منه وما يسبيك قلت جميعه

ثم ذهب مع الوالدة الى المائدة وجلسا يتناولان الطعام وكانت علائم الضعف والفكر بادية على كل قواه بالرغم عن قوة عضلاته وعظم جسمه فقالت له أمه : انك يابني استسلمت لوم الحب مع انك لو أحسنت صنعا لقاومته حتى لا يتسرب الى فؤادك بدواعيه . فكانت الوالدة تقص عليه أقاصيص الشجاعة والتغلب على الاهواء وهو ينظر اليها ولا يفهم منها شيئاً مما تقول . ولذلك كان لسان حاله يقول

ألا ليت ان الحب يعشق مرة　　فيعرف ماذا كان بالناس يصنع

يقولون فز بالصبر انك هالك　　والصبر مني الف مرة أجزع

ولقد كان عزلا يجيب على أقوال أمه بما يفيد أنه محب لتلك الحبيبة ثم فكر في أمره هنيهة فرأى أن يبحث عن سبب عدم وصول جواب من حبيبته اليه وكان مصادقا لمن خالطه بكاليرو . فبعد تناول الطعام أصدر أمره لفيروز بأن يجهز العربة لان عنده دواعي تستدعي ركوبه فورا وبعد تناول الغداء وغسل يديه استراح قليلا ثم هم بالركوب فأوصته أمه بعدم الغيبة فاجابها ثم قام متمثلا بقول القائل

قل للعذول لو أطلعت على الذي　　عاينتـه لعناك ما يعنيني

أتصدني أم الغرام تردني ... وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي ... اذ ليس دينك في المحبة ديني

ركب عزيز عربته وسارت به سيرا حثيثا الى حيث يلاقي صديقه الذي كان سببا في معرفته بكاليرو . فلما وصل الى الفندق المقيم به ذلك الصديق ارسل بطاقة اسمه اليه فنزل يستقبله باكرام عجيب ثم صعد معه الى غرفته التي يأوي اليها فوجد عنده كاليرو . تلك التي خرجت حزينة الفؤاد تتوجس شر العقبى من هجران أفضى الى تزايد أشجان سيدتها المحسنة اليها فلما نظر عزيز الى وجه كاليرو . هزته الذكرى هزة البنية كادت تفضي به الى انحلال القوي وخور العزيمة بيد أنه تشجع وخاطب كاليرو . قائلا .

أأنت هنا ياكاليرو . وأنا في طلبك منذ يومين ؟ .

— لماذا تطلبني وقد كرهت وجودي في الحياة وهجرت تلك الحبيبة هجرا غير جميل . ؟ .

— كيف هذا الخطاب الجافي يا كاليرو . من غير سبب ولا داعية . متى كرهت وجودك حتى تفاجئني بهذه المخاطبة الالمية . ؟

— بعد ضحك : الست انت صاحب الجواب الذي ظننته فصل الخطاب وادعى الى قطع حبال الود بينكما . . . . ؟ .

— ماهذه الرموز يا كاليرو وأي جواب أنا صاحبه وأنا لم أكتب جوابا لاحد منذ أيام

— وادهشتاه . . . اني أتيت اليك بكتاب من تلك المسكينة صريعة هواك وأرسلته اليك مع فيروز فغاب وحضر الى برد قال انه منك فأخذته فرحة مسرورة ببقاء الود بينكما خالصاً فلما سلمته الى تلك الحبيبة وقرأته أدركتها صرعة أسقطتها على الارض مغشيا عليها واجتمع آلها حولها فأدركت ان الجواب ملؤه الهجر والصد فأخذته من قبل أن يطلع أحد عليه وأخفيته عن أعين آلها لئلا يفتضح أمركما وها هو الجواب فتفضل واقرأه ومر كيف شئت يا سيدي . . . . . .

أخذ عزيز الجواب من يد كاليرو بدهشة وفزع ولما قرأه امتقع لونه ولعب دم الغضب في وجهه وكاد الشرر يظهر من عينيه لولا أن تداركه الرشد ففكر في الأمر قليلا وعلم أن والدته هي التي فعلت هذا الفعل فضحك عن سن الندم والاستخفاف

بما جرى ثم خاطب كابرو قائلا : طيبي خاطر الحبيبة وقولي لها ان المسألة ملفقة وان عزيزاً ماحضر الى من عرفه بي الا ليستخبره عن مكاني ليسألني عن سبب هذا الجفاء

— لا تصدق سيدتي بهذا الكلام الا اذا كتبت لها كتاباً بخطك أمامي ووقعت عليه بختمك ليكون ادعى الى التأكيد

— لا بأس يا كابرو : ثم طلب من صديقه قرطاساً ودواة وأخذ يكتب مايأتي

سيدتي العزيزة . مالكة القياد ومالئة الفؤاد

بعد تحية هي روح من محبيك باخلاص تعلمينه بضميرك الشريف فاني تلاقيت مع كابرو : فقصت علي قصصاً هو غاية في الغرابة . وهو ان كتاباً وصل الى الحبيبة المحفوظة بدعوى انه مني يفيد العزم على بتر حبال الغرام وفصم عرى الحب والهيام . وبما ان هذه المسألة ملفقة لا أصل لها في سجل ودنا المكنون في القلوب فأرجو من سيدتي الحبيبة أن لا تهتم بما جاء في ذلك الكتاب المزور الذي لو كان مزوره أجنبياً لا انتقمت منه ولكن طيبي نفساً ياسيدتي واسرعي بلقائي فاني في غاية الشوق الى رؤياك وليكن تلاقينا في مساء الخميس المقبل بجهة الطالبية التي في طريق اهرام الجيزة في الساعة الخامسة بعد الظهر . ولا تطيلي الفكر في أمر الجواب المزور فاني سأفيدك عن الحقيقة عند التلاق وهو قريب . ولما كانت كابرو . يهمها أمرك فقد طلبت بالحاح امارة تنفي الشكوك والاوهام من بيننا وأرادت أن أوقع بختمي على هذا الكتاب ولكن انت تعلمين ان لاختم لي غير يدي فهاهو خاتمي الخصوصي مرسل معها في غلاف هذا الرقيم فاحفظيه حتى نتلاقي ونزيل اسباب الوحشة من فؤادينا وما ذلك على الله بعزيز ثم ان عزيز طوى الكتاب وسلمه لكابرو واوصاها بالمحافظة عليه لان فيه خاتمه الخصوصي الذي لواطلع عليه غير عزيز والحبيبة لساءت العقبى ففرحت كابرو وقبلت راحة عزيز واطلقت لقدميها العنان وارسلتها في الريح يعدوان بها حتى لقيت عربة فركبتها وسارت الى حيث تزيل عن تلك المسكينة احزان ماهي فيه فنتركها وشأنها الآن ولننظر ماذا فعل عزيز مع صديقه بعد ذهاب كابرو .

ان صديق عزيز لما رأى حالة عزيز مع كابرو خاف عليه من عواقب حبه هذا الذي شابه شيء من الطيش والخفة وقال له : لقد ادهشتني ياسيدي العزيز بخفتك هذه واستلامك لغرامك هذ الذي انحل قواك واصبح عقلك لايلوي على عنان الحزم

والرزانة وبعد ان كنت مشهورا بكل فضيلة اجتماعية يخالك فيها الانسان مثال احبار السياسة واساطين الكياسة . وقلما أتذكر حادثة رسالتك الى العرب الا وأجد في نفسي هزة طرب لمستقبل زاهر ينتظرك . ولكنك بترفك هذا واندفاعك مع تيار الهوى والجنون ازلت من نفسي هذا الامل المحبوب ألاجل فتاة تضحي مستقبلك العزيز على مذبح الغاياة والمقاصد الشهوية اين عقلك ياعزيزي عزيز وكيف تمكن من فؤادك هو كهذه يهوى بك الى هذه الهاوية العميقة

— لاتلمني ياصديقي فان الحب مثله بعضهم بالسيال الكهربائي الذي بمجرد اتصاله بمجارية انفسها وقهرها وملك قيادها واهاجها . واهل الحجي لايلومون مثلي . فان فتات الحب . تمل هيكلا مقدسا يعبده الانسان باخلاص وصدق عزيمة واعتقاد راسخ . وشعائر هذا الاحترام المقدس لايمكن تناسيها بين العابد والمعبود وليس في كلامي هذا غلو مفارق لموضوع حبي الذي اعاضني وجعلني في هذا الموقف الحرج . يتنازعني عاملان غالبان وهما طاعة الوالدة وطاعة الحب القاهر فلو اطعت والدتي كفرت بنعمة الحب وطغيت على اوامر سلطانه القهار وان اطعت الحب فقد عصيت ربي بمخالفتي لاوامر والدتي . وعلى مثل هذه الحيرة وهذا الارتباك تراني في قلق زائد واضطراب عظيم فهل من دواء لهذه الادواء .؟

— عجيب امرك ايها الصديق وما كنت ادري ان هواك يقتاد عواطفك الى هذا الحد المهيض الذي لعب بمستقبلك هذه الادوار المحزنة وما كان يصل علمي الى أن الحب يفعل هذا الفعل المؤلم الذي يجر الشقاء على الافئدة والاجسام اذا كان الحب على ماوصفت فانه شر على الناس يجب التوقي من أوصابه وويلاته . ومثلي ياصديقي ليس له حظ في وصف دواء لداء الحب العضال لاني لا أعلم سبيلا من هذا القبيل

— ان الحب فوق ماوصفت لك ياصديقي واذا أردت أن تعلم ماهو الحب فاسأل عنه غيري فانه مفعم بمؤلماته لا أستطيع وصفه ولا اكتناهه . واني أيها الصديق مستوفز للذهاب الى القصر فان والدتي تنتظرني بفروغ . فاستودعك الله ياعزيزي

خرج عزيز من عند صديقه مترنح الاعطاف مسرور الفؤاد غير محزون كما كان قبل هذا اللقاء الغريب الذي أنعش نفسه وجعله يتغنى بانشودة النشوة وهو سائر الى قصره المشيد . وبينما هو كذلك اذ لقيه فيروز ممتطيا صهوة جواد فلما صادفه

أوقف جواده وترجل فسأله عزيز لماذا أنت راكب فقال ان سيدتي الوالدة بعثت في طلبك لان جماعة من ذوي قرباك هناك يريدون رؤياك ولقاك فلما سمع عزيز كلام فيروز حدثته نفسه بأحاديث شتى وحالت به الظنون والهواجس الى اميال مختلفة ولم ير سبيلا غير مصادقته لفيروز هذا لعله يهديه الى مبلغ ما تريدأمه فلهمه وقلك تبسم عزيز وقال : لقد جئت الي في طلب لا اخالفك فيه يا (لاله) فهل لك في مصادقتي والعمل معي باخلاص وصدق عزيمة

— كيف لا أصادقك ياسيدي وأنت ولي نعمتي ومالك رقي ربيتك على يدي فانت كولدي الوحيد وعزيزي الفريد

— صدقت يالالتي انك ربيتني واحسنت تربيتي ولكن ألا تريد أن تكون عضدي فيهذه الحياة المفعمة بالاخطار ؟ .

— لا بأس عليك ياولدي اي خطر يتهددك وانت عظيم من سلالة العظماء

— انا عظيم ولكن فوق العظمة عظمة قاهرة هي سر الله في عباده

— وما هي يابني ؟ .

— هي الحب يا (لالتي)

— ومن تحب ياولدي

— احب التي جاء منها الكتاب الذي سلمته لوالدتي وكتبت ردا باسمي وسلمته لمن جاءت بالكتاب

هل هذه المرأة الافرنجية هي بريدحبك ومن تحب ؟ .

— نعم (يالالتي)

وهل التي تحبها جميلة كالتي ستراها عند والدتك من اسرتك الفخيمة . .

— ومن هي يا (لالتي)

— هي ابنة عم ابيك التي ذاع ذكر جمالها واشتهر امر حزمها وظرفها واستحوازها على معاني الكمال والجمال

— مهما كانت جميلة فانها لا تساوي في نظري شعرة ممن احبها يا (لالتي)

— كفي يا ولدي أنا أدري منك بالجمال لاني مصاحب الغواني ومعاشرهن في خصوصهن عالم من امرهن مالم تعلمه خصوصا وقد تغلبت على امثال الغيد الحسان

وتقلبت بينهن وعرفت مكانة كل اسرة من الجمال والظرف فـأي عناية عائلة كبيرة اجيبك بصريح القول عن كل شيء ؟

— كل هذا لا يهمني يا (لالق) وانما المهم عندي ان تساعدني على نوال اربي ليس الا كن مطمئن البال مستريح الخاطر من جهة مساعدتي لك فستجدني ان شاء الله معينا لك في كل ما تحب وترضى وحسبي ان لا تغضب والدتك الكريمة في شيء ما يا سيدي فان رضاء الوالدين فرض مقدس يجب ان نرعاه فمر سائق عربتك بحث الجياد على السير حتى نصل الي القصر قريبا

— لك الامر (يا لالق) ثم أمر سائق العربة فحث الجياد فسارت بسرعة تنهب الارض نهبا حتى وصل الى القصر في زمن قصـير . وعند ذلك نزل عزيز وفيروز مشي بين يديه حتى دخلا القصر وما زال سائرين بين الغرف حتى اهتديا الى غرفة الوالدة وهناك حدث ولا حرج عن غيد كن هناك يخجلن بدور السماء نورا وجمالا فما كادت عين عزيز تقع عليهن حتى تقهقر اضطرارا وخجلا فنادته أمه بصوت عال ان ادخل ليس عنـدنا من غريب تخشى من لقائه . فدخل عزيز والحياء يضطره الى اطراق رأسه فحيته ابنة عمه تحية شفت عما وراءها من معاني الاستحالة حيث قالت

ان سيدي عزيزا مشتغل عنا حتى اننا لم نخطر له على بال ولم أتذكر انه قصـد زيارتنا مرة واحدة مع اني تربيت معه ولعله معذور لان فتيات العصر اللاتي اشتهرن بالرشاقة والحصـافة أغنينه عن مثيلاتنا . وما كادت تفرغ من هـذا العتاب الملين للصخور والمذنب للمهج خصوصـاً من فاتنة كهذه حتى ذهل عزيز وأخذته دهشة عظيمة جعلته في بحران عميق ثم انه انتبه والتفت الى محدثته فانبهر من مظهرها الجميل ومنظرها السني الجليل ثم قال

اني يا سيدتي تمشيت على سنة الرجال الذين يرون الحياء حجابا منيعاً دون العشرة بعد بلوغ سن الـكمال . وان سيدتي لم تكن لتراني مخطئا في هذا الفهم لاني أراها فوق كل نساء العالم أدبا وكمالا . وهـذا ما حدا بي الى التقصير عن موافاتها في أوقات الفراغ . فان رأت هذا عيباً فلنغتفر ما مضى وعلى الوفاء فيما بقي

— وهذا غاية ما أشتهي وأتمنى فلنترك الغابر ولنكن أولاد الحاضر فان تكرمت على رقيقة أمیالك وآمالك بالوفاء فانها تعد هـذا اليوم أول أيام السعادة المستقبلة

والعيشة الخالدة الهنيئة وأنا لك وأنت لي الى الابد ما دمنا نحافظ على شعائر الوفاء لحقوق القربى والعصبية

— لا بأس ياسيدتي وأنا السعيد بهذا الحظ المتاح لي من أكمل سيدة في الدنيا تفضلت على عبد آدابها وكمالها بهذا الفضل المبين

— اذا فليكن اقاؤنا يوم الخميس المقبل في طريق الجيزة حيث تنتشق الهواء الصافي النقي ونتبادل ودنا القديم في ظل الولاء المائل المحترم وسيدتنا الوالدة تكون معنا حتى يتم حظنا وتكمل سعادتنا . فما أتمت هذه السيدة عبارتها حتى نسي عزيز وعد حبيبته واجابها على الفور ووضع يده في يدها على التعاهد والتعاقد . فما كان سرور والدة عزيز التي حسبت ان آمالها صحت وأحلامها صدقت وان ابنها أصبح طوع ارادتها وان هذه الغادة الهيفاء سلبته لبه وحلت فيه محل تلك الحبيبة فقامت من فورها وقبلت ولدها في جبينه البراق فشكرها عزيز على هذه العناية والتفت الى معاهدته فرآها تبسم في وجهه ابتساماً يشف عن الحب والاخلاص فود أن يكون فؤاده خاليا لتحل فيه محل سواها ولكن اين لمسلسل الغرام فكاك من الاسر ولقلب ملؤه الحب أن يفكر في الهجر

صبا وهزته ايدي شوقه طربا | وجد من بعد ما كان الهوى لعبا
لا تعتبوه فما أبقى الغرام له | من سمعه مابه يصغى لمن عتبا
ولا تذماه وأمر الحب في يده | عذل فكيف وأمر الحب قد غلبا
يهوى بروق الحمى لكن يخالفها | فكلما ابتسمت من جوها انتحبا

ثم ان عزيز طأطأ رأسه الى الارض حياء وخجلا حينما رأى ابتسامة السيدة في وجهه الا أنه قاوم هذه العوامل الجديدة واستأذن الوالدة في الخروج من القصر لمهمة تضطره الى ذلك ومد يده الى ذات الجمال الرائع ليودعها فقامت على قدميها وبادلته التحية وعند ما أحسن عزيز بلمس كفها شعر بتيار كهربائي جذبه نحوها وكاد يصرعه بين يديها فأدركت السيدة حالته وكانت على ذكاء مفرط وفصاحة يندر توفرها في أترابها فغيرت موضوع حديث التحية الوداعية وأعرضت بوجهها عنه واشتغلت بالحديث مع والدته حتى استعاد قوته التي هزمها جيش الغرام وتأخر للوراء رويداً الى ان وصل باب المكان فخرج لا ينطق بعبارة ولا يبدي اشارة وقصد باب القصر ومفاعيل الغرام تهزه كما يهز الريح عالي الشجر وظهرت على وجهه أعراض

الصبابة و لوجد وأدرك حالته خدمة قصره فتغامزوا وتهامسوا وعلت أصواتهم بالظن والتخمين . فمنهم من قال أن سيدنا أصابه غرام شديد صرفه عن كل مصلحة . ومنهم من أسند اليه أعراض الذهول والخلل في القوى العقلية ومنهم من صرف الافكار عن هذه الظنون وقال ان مولانا لديه من المهمات السياسية ماأشغله عن قضايانا وعن النظر الى سوانا

أما عزيز فلم يدر أين هو من القصر والى أين وصل حتى نبهه وقع الحوافر من خلفه فالتفت واذا بالدكتور صادق يأمر سائق العربة بالوقوف فابتسم في وجهه ونزل الدكتور في الحال وسلم عليه واستأذنه في ركوب العربة معه الى حيث يريد عزيز فركبا وسارت تعدو بهما الخيل وهما لا ينطقان بكلمة وفؤادي كلاهما مملوء بالهواجس والافكار . هذا يمني نفسه بآمال كبيرة ويفكر في ميل الحبيبة اليه ويعجب على نفسه بجمالها الشائق وحسنها الرائق . وذلك هو عزيز تتقاص راحة البال من ضميره و يشرد فكره في وهاد سحيقة فلا يعرف السكينة ولا الخلود ولا يستقر على حالة من قلق الجوى واضطراب الغرام . . فتارة يذهب به الحب الى مالكته الاولى فيتصور أنه بين يديها وهي تؤنبه على اعراضه وجفائه وتوبخه على خيانته لعهود الهوى والغرام وتحويل قلبه الى غيرها وانصياعه لاميال أمه والعمل بأردائها و يستحيل هذا التصور الى عوامل تستفزه الى الاعتذار عما فرط منه فيقوم على قدميه و يركع على يديه وهو لا يشعر بمقامه ولا يدري لفرط هيامه أنه في عربة تركض به في الشوارع . وطوراً تتمثل أمامه تلك السيدة وهي تدعوه الى حفظ العهد وعدم خلف الوعد وهو يقسم لها لايمان بالبقاء على ودها والمحافظة على وعدها وظل على هذا الحال يتخبط في لجج هذه التصورات ويرتطم بين أمواج تلك الخيالات الى أن قبض الدكتور على يديه وهو بين القيام والركوع والخنوع والخضوع ونبهه الى مركزه وسأله الحزم والتأني حتى تغيب بهما العربة عن الناظرين و يستقر

بهما المقام في كل مكان . عند ئذ أدرك عزيز خطأه وعاد الى صوابه وأخذ يشغل نفسه في حركات القوم ذهاباً وجيئة حتى أوقف السائق العربة بأمر سيده أمام حديقة الحيوانات بالجيزه فنزلا تمشيا قليلا الي أن وصلا لباب التذاكر فتخلى لهما المال عن الطريق بعد دفع القيمة المقررة وظلا سائرين بين حفيف الاشجار وتغريد

الطيور وأصوات الحيوانات المختلفة الالوان والاجناس الي أن اقتربا من باب الجبلاية المشهورة فيها فدخلاها حيث علما من أحد خدمتها خلوها من الزائرين فجلسا على مقاعد تجري من تحتها الأنهار ولبثا برهة يمتعان النظر في التماثيل القائمة على جوانبها بيد أن عزيز اعاد الي تصوراته الاولى واخذ يتنهد ويصعد الزفرات الحارة من أنفاسه فرأى الدكتور صادق ان هذه خير فرصة تمكنه من القيام بما كلفته به حبيبته أثناء لقائها في طريق الاهرام مع شقيقتها حبيبة عزيز حيث وعدها باستطلاع ضمير عزيز والعمل علي انعطافه نحو حبيبته فحول وجهه نحو عزيز قائلا. ماذا اصابك ياصديق في هذا اليوم وقد كنت أعهدك قبل الآن ثابت الجأش قوي العزيمة رزين العقل طلق المحيا.؟

— آه لا حاجة لان أخفي عنك أمري أيها الصديق بعد أن تبين لك حالي واطلعت على حركاتي وأني أشكر الصدف التي جمعتني بك في هذه الساعة على غير انتظارها ولولاها لما وقفت علي دخائل قلبي ولا علمت حالتي اذلا بدلمثلي ان يستعين على أمره بحكمتك وتدبيرك

ولا بد من شكوى لذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

— ثق بصداقتي ياعزيز فأنا على ما تعهد صديقك المخلص وحبيبك القديم ورحم الله أيام الدراسة التي كنا فيها نتبادل من الود ونتناوب كؤوس الهوي في البلاد الاجنبية حيث لا رقيب ولا حسيب ولا أهل ولا ولد فاخبرني بسرك وجهرك وعلى تدبير أمرك

— تعلم أيها الدكتور الصادق مكانة بيت . . . . وأدب من فيه من الابناء فحدث اني شغفت بفتاته الصغيرة وهي (٥٤٠) وعلق فؤادي بهواها وكان من أمري معها أن علمت والدتي بالحال فمنعتني من زواجها بدعوي أنها أصغر منى حسباً ونسباً وأخذت من ذلك الحين في وضع عقبات تحول بيني و بين مالكة فؤادي حتى أنها زورت كتاباً باسمي وبعثته الى الحبيبة ردا على كتاب ورد الي منها ووصل الى يدها وللآن لم أدر أيها الصديق ماذا افعل وانت تدري أن الوالدة هي القابضة على زمام الثروة و بيدها عزي ومجدي وذلي وامتهاني . فلو خالفتها عدمت الظهير والنصير ونبذني الكبير والصغير واحتقرني الصعلوك والامير وطردت من صفوف عشيرتي فلا أنا وصلت الي الحبيبة ولا اهتديت الى ارضاء والدتي وفي الاخير يكون موتي لا محالة

ـ خفف عليك يا عزيزي وأنا أدبر لك رأياً تتبعه وفيه يكون الفوز ان شاء الله وهو أنك تصانع الوالدة وتظهر الانقياد لاوامرها وتتكلف اخفاء حالك عليها وتبدي لها عبارات السلوان وتهجر امامها حبيبتك بكل لسان وتخلق فيها كل عيب ونقصان ثم تتبع ذلك بأن تحذر من أن ينكشف لها أمرك وتتقى أثرك فيضيع التدبير وتعود بصفقه المغبون ومتى تم ذلك تجتهد في الاخذ بأسباب انفصالك عنها وتعيش بمفردك متمكناً من شؤونك لا تجد ثمت من يصرفك عن هواك أو يحول بينك و بين حبيبتك وعند ئذ يسهل عليك الاقتران بها وتحظى بأمانيك مادمت وما دامت الحبيبة قرينة لك واعلم ياصديقي اني انا مثالك في هذا الغرام قد شغف قلبي بحب شقيقتها وتبينت حالتك وعرفت قصة هيامك معهامن حبيبتي التي كلفتني أن استطلع ماعندك لاختها والحمد لله فقد الفيتك ثابت الفؤاد على حبها ونعم ما فعلت فان المرء يا عزيزي لا مناص له من اختيار حبيب يملك فؤاده وينيط به آماله ويجعله موضوع لذته ومنتهى غايته فعلى العاقل أن يكون يقظاً وحكيماً في اختيار حبيب اهل لذلك والا طرح فؤاده في حمأة الهوان وغرس حبه في أرض عقيمة فلا يزهر ولا يثمر ٠ ولا خير في الحب اذا لم يكن مثمراً

ولا يكون الحب سعادة تامة الا اذا كان موسسا على الغاية الصالحة ويقصد به أن يدوم مدة العمر كله لأن الحب المتغير يكلف المرء كل مشقة وعناء وأفضله حب العروس وارادة حب المرأة البغي

وتأكد ياعزيزي ان حب المرأةالبغي بئر لا قرار لها تستغرق الثروة وزهو الشبيبة والشرف والحياة وأخيرا اذا كشفت الغطاء عن تلك البئر لا تجد شيأ ٠ والبغي حبيب كالصنم له شفتان لاكلام ولكن لا عذوبة فيها ولا أنس وله قلب ولكن بلا عواطف وله عينان ولكن لا تريان مافي الفؤاد ٠ والمرأة البغي شريك يقاسم شريكه الربح وينكره عند الخسارة ٠ فهي تقاسم عاشقها أفراحه ومسراته وتعرض عند أحزانه وهمومه وتبود داليه ما دامت تستنزف منه ماله حتى اذا لم يبق معه درهم جحدته وذلك بخلاف حب العروس فانه مقدس وهو غرس مثمر يشترك في اجتناء أثماره الحبيبان معا ٠ والعروس شريكة مدى العمر تشارك عريسها في سرائه وضرائه وسعادته وشقائه وفي غنائه وفقره فاذا نبذه العالم كانت هي كل العالم له

واني أشكر العناية التي وفقتني لان أفوز بحب فتاة شريفة عاقلة وهبتني قلبها وملكتني قيادها وتمنيت اقتراب ساعة الاقتران بها في أقرب ما يكون من الزمان بيد أنك أنت الآخر قد وفقت لمرافقة شقيقتها التي لا تقل عن أختها في الجمال والكمال والثبات والرزانة ولذلك توفرت لدينا شروط ماقدمته لك من الآيات الوعظية التي يجب أن يعمل على سنتها كل من رزق نعمة الادراك وأصاب فؤادة طائف الهوى

— بورك فيك أيها الحكيم العاقل فقد ملأت فؤادي بدرر ألفاظك ورقائق عباراتك ونزعت عن قلبي شعار الحيرة والالتباس وأعدت على جسمي ثياب الراحة بعد أن أنضتها عنه عوامل الهموم والاكدار . فسأتبع قولك واعمل برأيك ولكن قد فاتني أن أعرض عليك مهمة اعترضت طريق غرامي وهي أن الوالدة ترغب في اقتراني بابنة عمي وقد دعتني لحضور مجلسها اليوم فلما رأيتها عجبت من جمالها وكادت أن تستميلني بعذوبة ألفاظها لولا أن أسرعت بالخروج من حضرتها بعد أن تواعدنا على اللقاء يوم الخميس الآتي لنخرج للرياضة مع والدتي وقد فاتني أن بيني و بين حبيبتي ميعاد لقاء في ذلك اليوم فماذا ترى في ذلك ....

— لا رأي عندي أيها الصديق غير العمل بما قدمته لك من مطاوعة أميال والدتك ظاهرا والانقياد لاوامرها واظهار سلوانك اليها ولذلك يجب عليك تلقاء الحصول على بغيتك وفاء وعدك مع والدتك وعند اللقاء تتذلل لدى ابنة عمك وتظهر لها ان الحب قد تملك فؤادك وتتمثل اليها بكل حالة تلائم ذوقها من كل وجه أو من أكثر الوجوه لتكتسب استحسانها وعليك عندئذ أن تفرغ جهدك في اقناعها بأنك كفء لحبها وان فيك أكثر المزايا التي تروعها أو كلها وان في قلبك شغف شديد بها اذ لا يخفى عليك ان في الحب اطراء ضمنيا لمحاسن المحبوب

أما حبيبتك فتعتذر لها بعد ذلك وتنتحل عذرا مقبولا لديها وهي أقرب من والدتك في التجاوز عن فرطاتك والصفح عن هفواتك

— لله درك من مدبر في الرأي وخبير بالامور فهيا بنا نعود الى منازلنا وفي غد يقضي الله ما قدر علينا

ثم قام الدكتور صادق مع عزيز وخرجا من الحديقة وركبا العربة فأطلق السائق للخيل عنان السرعة حتى وصلت بهما الى كوبري اليمون وهناك ودعا بعضهما ونزل

عزيز حيث استأجر عربة أوصلته الى قصره فدخل على والدته وهو ضاحك مستبشر وقبل يديها بعد تحية الاحترام ففرحت بقدومه وهشت في وجهه وبشت وأجلسته بجانبها وقالت له : أظنك ياعزيزي قد شاقك جمال ابنة عمك ورضيت بها قرينة لك فعساك يابني تكون قد نزعت من فؤادك حب تلك الداهية التي جلبت عليك القل وسلبت منك نهاك واصطادتك بشرك خداعها وطالما دعوتك للاقتران بابنة عمك هذه فلم تسمع قولي وكنت تنكر أمر الزواج وتأبى الاقدام عليه مع أن حياة العزب حياة اعتلال وشقاء وعار وقصيرة الاجل لأنها مناقضة لنظام الطبيعة ومخالفة لشريعة الخالق · والزواج هو السنة الطبيعية التي فيها كل التعزية والهناء للزوجين والسعادة الدائمة انما هي هناء الرجل بامرأته والمرأة برجلها وارتباطها برباط الحب المكين (لاكارتباطك بتلك) بحيث يعلم كل منهما أنه ملك للآخر مدة الحياة فاذا عالها كان كأنه يعول نفسه واذا خدمته كانت كأنها تخدم نفسها وهو يجني لها وهي تقتصد وتوفر له وتشاركه في مسراته فتزيدها له وتقاسمه ضراته فتخففها عنه ويتعاونان على مشاق الحياة ويتعاضدان في الملمات وكلاهما يعيشان لاولادهما ويتمتعان بلذة حبهما التي تفوق كل لذة ويقضيان عمراً سعيداً في عيشة مرتبة معتدلة فلا يشرهان اذ ليس مايفوت ولايصومان اذ لايعوزهما غذاء أو قوت نفساني أو جسداني وهما لا يأمنان الامراض وخسارة الاموال فهما اذاً في نعيم دائم

واذا بحثنا يابني عن الاسباب التي لاجلها تخوف الشاب من الزواج وجدنا أنها كلها راجعة الى سبب واحد وهو أن الشاب لا يطلب زوجة تكون رفيقة مدى العمر يهمه منها جمال الخلق قبل جمال الخلق وحلية الفضائل قبل حلية المعاصم لتعاونه في مغالبة الدهر وتشاركه في حالتي العسر واليسر بل يريدها عشيقة يتمتع بجمالها في عصر الشبيبة ويدفعه الغرام الفاسد الى اختيارها زوجة مهما كانت تربيتها وأصلها ولهذا جعل الوالدون يهيئون بناتهم حبا في هذه الرغبة وجعل الفتيات يظهرن بمظهر الابهة والجمال والتيه والدلال ويفاخرن غيرهن بالتبرج والزينة ليفتن عقول الشبان الجهلاء ويستغوين عقلاءهم بالمال حتى أصبح الزواج ضرباً من ضروب الاتجار أو حل عقده من أعوص اشكال

متى عرفت ذلك يا بني وادركت هذه النصيحة او رضخت لاحكامي وقاومت شيطان غرامك الفاسد وطرحت حب تلك التي رضيت بأن تعيش معك خليلة ان لم

ترضيها حليلة كما اخبرتك في مكتوبها فانك تعيش سعيدا لامحالة خصوصا وابنة عمك كاملة الآداب طاهرة الذيل نقية من أوضار الدنايا لايخالط فؤادها التبرج الفاضح ولا تميل للزينة من غير ماموجب وحبذا لو داومت الجلوس معها بضع ساعات فانك ترى منها خلقاً عظيما وخلقاً جميلاً وفصاحة رقيقة والفاظا أنيقة وادبا وكمالا وعفة واعتدالا تميل اليك وتحنو عليك وتلهج بمحاسنك وتثني على اخلاقك . فحول وجهك نحوها واصرف فؤادك عن غيرها

ــ اني يا أماه طوع أمرك فلا أخالف اشارتك ولا أخرج عن ارادتك فانا ابنك المطيع والحمد لله الذي أنار قلبي بمصباح هدايته وهداني الى الصواب ورفع عن بصري حجاب الهوى فاستنار أمامي طريق الاعتدال

اني يا أماه أشعر بثقل في جسمي ودوار برأسي من كثرة الهواء في طريق الجيزة فاستمحيك الاذن في الذهاب الى غرفتي ولك الامر في كل شأن من شؤوني

عندئذ تركها وقصد غرفته وانطرح على السرير كاد ته مشتت البال مشغول البلبال يفكر في أموره ويتطلع بنظر آماله في جو مستقبله فيراه مكفهرا بغيوم الاهوال تتلبد الحوادث المدلهمة في أفقه فيتأوه تاره ويئن اخرى ولبث هكذا حتى غلب عليه النوم فسبح في بحوره تاركا ما وراءه من الامور لمن يدبرها ويبرمها

اما والدته فأخذت تهنئ نفسها وتتهادى عجبا في ساحة غرفتها قائلة لخادمتها: ان عزيزا أمسك عن حب تلك الفتاة المتهورة في غرامه وانقاد لنصائحي وعمل على رضائي وخاف نقمة غضبي وهذا مادعاني لان اتجاوز عن هفواته السابقة خصوصاً وأنه رضي بالاقتران بابنة عمه بعد ان وقعت عيناه عليها واخذ جمالها الرائع بمجامع قلبه حتي خيل لي عند ماكان يحادثها وقت الوداع انه اصيب بنوبة عصبية اذ رأيته يهتز ويرتعد فلا يقوي على مقاومة مفاعيل الجمال ولولا انه أسرع بالخروج من حضرتنا لاصابته صرعة قوية

ولست ادري ان كان ولدي هذا يثابر على تلك الخطة ويملك نفسه فلا تدفعه في تيار الغرام الفاسد ويعود لحالته الأولي فيبوء بسخطي وغضبي وامتنع عن أن أناديه بولدي واحبس عنه كل خير فلا يجد ما يقتات به غير مد يد السؤال على الأبواب . وعلى كل حال فاني أسأل له البقاء على هذا المنوال ــ فهيا احضري لنا

أيتها الخادمة مائدة الطعام فان الوقت قد آن

﴿ الفصل الخامس ﴾

هو الصبر أولى ما استعان به الصب ولولا تجني الحب ما عذب الحب
اذا كنت لا أهوى لغير تواصل فعشقي لروحي لا لمن قلت ذا الحب
وما أنا الا مغرم القلب لو بقي على ما أعانيه من الوجد لي قلب
يدوم على بعد المزار بحاله غرامي ويقوى ان تداني به القرب
كذا شيمتي فليقتد العاشقون بي والا فدعواهم وحاشاهم كذب
أجيب الجواب السهل عما سئلته وأن الذي يشكي اليه الهوى صعب

جاء يوم الخميس وهو ذلك اليوم المشهود الذي توجهت الانظار الى استطلاع طالع شمسه وتعلقت آمال المحبين في نوال صفوه وزهوه وكان كل يناجي ضميره في ليله ويحسب للقائه الف حساب وكلهم قائل « يا ليل ما أطولك » أما عزيز فانه كان كلما دقت الساعة دقت حلقات قلبه لما انتابه من الحيلة والارتباك كلما خطر في خاطره خلف الوعد مع حبيبته وكانت نصائح الدكتور صادق تتردد في ضميره الا أنه استنكر على نفسه ان تعرف عنه مالكة فؤاده نكث العهد والمخاتلة في الوعد فأخذ يخاطب شخصه و يقول . كيف أغضب حبيبتي واعمل على رضاء سواها بعد ان ضربت لها موعد لقاء في هذا اليوم وهذه أمنية كنت أتمناها و بغية طالما سعيت للوصول اليها . فلا والله لأخالفن كل رأي يغاير رأي الحب وانبذ كل نصيحة يترتب عليها غضب الحبيبة وسأتوجه من الآن للانتظار في ذلك المكان وهناك أتمتع بلقياها وأحيي النفس بلطف محياها

ثم انه خرج يتمشى حتى التقي بعربة فاستوقفها وركبها وأمر السائق بالعدو في طريق الشارع العباسي فسارت به الخيل مسرعة الى أن وصلت منتصف ذلك الطريق فترجل عنها وانقد السائق اجرته واخذ ينقل الخطوات رويدا في جانب الطريق ويضرب بعصاه بعض قطع أحجار ملقاة في سبيله وهو في كل حركاته مطرق الرأس لايرفع نظره في الذاهب والآيب ويخرج ساعته من جيبه كل لحظة ليعرف منها ميعاد اللقاء وظل هكذا حتى مضي الميعاد بساعتين فراغ ببصره يمينا وشمالا وتغير لونه وخفق فؤاده واضطربت أفكاره وأحاطت به الهواجس من كل جانب الا أنه تجلد قليلا وتابع السير غدوا ورواحا وهو يتمثل بقول القائل

ان دام هذا التجني منك والغضب   فلا تسل عن فؤادي كيف يلتهب
جعلت فرط غرامي فيك لي سببا   في الهجر قل لي فدتك النفس ماالسبب
يا شعرها كم دموع فيك أنثرها   وهكذا الليــل فيه تظهر الشهب
يا ليل من لي بصبح فيك أرقبه   تالله قــد فيت من دونه الحقب
ان الذين فؤادي في الهوى نهبوا   لناظري سهادي في الدجى وهبوا
ا… جارهم في أية سلكوا   ان أغضبوا عاشقا في الحب أو غضبوا

تعبت قدما عزيز وصار لا يقوى على الوقوف فاقترب من منزل شامخ في هذا الطريق قد أغلق بابه وجلس علي سلم الباب بعد أن افترش منديله وظل ينبش الارض بعصاه تارة ويناوه أخرى وهو في كل هذه الحركات يفكر في سبب تأخير الحبيبة وبينما هو في أطراقه أحس بيد وضعت على كتفه فرفع رأسه بانزعاج شديد واذا بكابيرو واقفة أمامه فهب من مقامه ولم يمهلها ريثما تحييه وفاجأها بالاستفهام عن مالكة قياده . أما كابيرو فابتسمت عند ذلك وهزت رأسها فبادرها بقوله : عجلي يا كابيرو واخبريني عن حبيبتي ما الذي عاقها عن الحضور في هذه الساعة هل أصابها خطب منعها عن الوفاء بوعدها أو تناست حقوق الغرام فعملت على الاحجام — أم ماذا ، اخبريني بسرعة يا كابيرو ليهدأ روعي ويسكن هياجي ...

— مهلا ياسيدي فلا تجزع فان لتأخير سيدتي عوامل محزنة تبعث في النفوس يأساً وقنوطاً من صداقة الاصدقاء وتدعو الانسان الى التخلي عن معرفة كل انسان مها أظهر وده وصحبته

— ماهذه الالغاز والمعميات يا كابيرو فاسرعي بتفسير قولك واكشفي الغطاء عن هذه اللأواء

— ان صديقك الدكتور صادق جاء صباح اليوم الي القصر ليعود من فيه من المرضي حسب عادته واختلي بحبيبته وقص عليها قصصاً غريباً وهو انك شغفت بحب ابنة عمك وتمكن غرامها من فؤادك حتى انك لا تفتر عن ذكر اسمها وترديد اوصاف جمالها وبلغ منك الهيام لدرجة ان عرتك نوبة ذهول واعماء حينما كنت معه في عربته اول أمس وقد تعب في تهدئة روعك وتخفيف مصابك ومكث يصرف أوهامك بعبارات مختلفة واحاديث شتى الى ان وصلت بكما العربة لحديقة الحيوانات بالجيزة ودخلتما في الجبلاية ولبثتما بها وقتاً طويلا ريثما سكن

اضطرابك وعاد اليك شعورك وادراكك وفي غضون هذا الوقت كاشفته بضميرك وبحت اليه بغرامك الحديث وأخبرته بأن بينك و بين ابنة عمك ميعاد لقاء في هذا اليوم وانك ستقوم بوفاء وعدها بالرغم عن سابق وعدك للحبيبة بالاجتماع معها في هذا الوقت اذ ليس في فؤادك بقية من حبها القديم . فلما سمعت حبيبة الدكتور منه هذا القول أخبرت به شقيقتها ولا تسل ياسيدي عما انتابها عندئذ من الاغماء والذهول فقد اصطكت اسنانها وارتجفت ركبتاها وغارت عيناها وعاودها الصرع مراراً وتكاكأ عليها من في القصر جميعاً و بكاها الوالد والوالدة وأشفق الكل من حالتها وظلت على هذا الحال زمناً طويلا الى أن أفاقت من غشيتها وعادت اليها الحركة فالتفتت يمينة و يسرة وهي تذرف الدموع وتندب سوء بختها معك وذلك بعد أن انصرف عنها آلها ولما انتبهت تماماً ودار الحديث بيني و بينها في شأنك أرادت ان تتبين حقيقة الحال فأرسلتني الى هنا لا تأكد صدق رواية الدكتور في حالة عدم وجودك بهذا المكان . ولما جئت ورأيتك تنتظر حبيبتك وأنت على هذا الاضطراب المؤلم والحال السيء عجبت من هذه المفتريات وسخطت على الاصدقاء والاصحاب

— ماذا تقولين يا كاليرو . اتمزحين في كلامك . هل صادق يختلق على هذه الاباطيل . . .

— نعم كما قلت لك

— حسبنا الله ونعم الوكيل . اين ما كان يبديه الي من النصائح الحكمية والعبارات الوعظية . . أين وده واخلاصه . اين حنوه واشفاقه . أين تدبيراته المفيدة وأراؤه الرشيدة . . . .

ظننت بطبك كل الدوا وقد دب في القلب داء الهوى
رأيتك تنصح أهل الهوى فجئتك اشكو اشتداد الجوى
قصدت بنصحك تفريقنا وما عاقني غير خوف النوى
فشلت يمينك اين اليمين م الذي قد حلفت به في الهوى

كيف يخدعني هذا الطبيب بنصائحه التي ابداها ويظهر لي انه من اخلص الناس لي ولحبيبتي ثم انه يوغر صدر الحبيبة و يبلغها اني رغبت عن هواها . . .

وهل ظن اهل المحنة ان المحب له اختيار مع من يحب . . . لوكان الامر اختياريا

لما وقع فؤاد في شرك ولا سقط قلب في وهدة غرام . ان فواعل الهوى اضطرارية تحمل الفؤاد عن التجني واحتمال آلام الجوى والنوى . وهكذا استرسل عزيز في امر هذه الفتنة التي وقعت بينه و بين حبيبه بدسيسة من الطبيب

فلما رأت كاليرو من عزيز هذا التأثر أشفقت من حاله وتأثرت مما رأته لفرط تدلهقات له : لا تأسف ولا تأس ياسيدي فان اخوان هذا الزمان قد آثروا المخاتلة والخديعة وانصرفت نفوسهم عن الفضائل ولم تنقه عواطفهم من امراض الشذوذ وحب الاذي والحسد والحقد انقيادا لعوامل الاثرة وحب الذات فلا تتأثر وقل لي ماذا أفعل الآن وقد ازف الوقت ولم يبق فيه متسع لان اتوجه الى سيدتي واحيطها علما بما جري واستحضرها

فقال لها عزيز لا بأس يا كاليرو من تحويل هذا الموعد الى عصاري الغد ولكن من الضروري ان تزيلي من نفسها آثار تلك السعاية والوشاية لئلا يشتد بها حال اليأس والقنوط فتصاب بما يوجب الايلام لها ولي . و بلغيها اني على عهدها مقيم وعلى ودها محافظ وعرى الحب بيننا لا تنفصم ولا يقدح في ارتباطنا الا تنائي كلينا ولتجعل بينهما و بين الوشايات موانع فلا تسمع قول قائل او عذل عاذل فحسبها مني أن أقت لها الف برهان على صدق ودادي وارتباط فؤاد واضطرام نيران الهوى دائم في قلبي ولم انصرف عن حبها وان انصرف ما دمت ودامت . وقد خففت هذا الخطأ الذي وقع من الدكتور صادق المنافق واغتفرته رعاية لها واحتراماً لمبدء شرف العائلة حيث هو مقيد بسلاسل هوى اختها

فقالت كاليرو . حفظك الله يا سيدي فان اخلاقك هذه ليست الادالة على شرف محتدك وطهارة عنصرك وتوفر أدبك واحترامك لمبدء الوفاء وقيامك بشعائر الاخلاص والولاء فهكذا يكون حال الامراء وهكذا تكون اخلاق العظماء فأستأذنك يا سيدي الآن في الانصراف فان سيدتي تنتظرني بفروغ صبر فأستودعك الله ايها السيد العزيز

همت كاليرو بالانصراف وهم عزيز بتحويل وجهة قصده الى قصره واذا بفيروز قد وقف أمامه على حين غفلة وقال له : أنسيت الموعد يا سيدي .. . الم يكن الاتفاق بينك و بين سيدتي الوالدة وسيدتي ابنة عمك ان تجتمعوا جميعا للتنزه في

منتزه الجزيرة . . . كيف تتفق معهن وتخلف وعدك ولا تحافظ على الميعاد حتى جعلت للظنون محلا وللشكوك اوهاما . فلما سمع عزيز كلام فيروز الخصي انبهر واندهش وسبب ذلك ان كالبرو لم تكن ذهبت بل همت بالذهاب فخاف عزيز ان تكون قد سمعت اقوال فيروز خصوصا فيما يتعلق بابنة عمه ولكنه لم يسعه الا ان قال لفيروز : انتظرني هنا قليلا حتى اعود اليك ثم التفت عزيز الى كالبرو واشار اليها بأن تتبعه ففعلت ولما ابتعدت هي وعزيز عن مكان فيروز قال لها : رأيت وسمعت يا كالبرو اني لاجل حبيبتي التي ترميني بالجفاء والهجران قد اخلفت وعد أمي وأختي ولم أذهب معهما الى المتنزه كما كان الاتفاق بيننا

— لكن سمعت من فيروز انه يقول لك ان ابنة عمك مع أمك تنتظرك فهل هي التي يقول عنها (صادق) الطبيب ويتهمك بانك علقت بها وتركت حب سيدتي

— ان ابنة عمي هذه رضعت معي ثدياً واحداً فلا يتأتى اقتراني بها ولكن بيني وبينها عهد اخاء لان اخاها سافر الى اوربا ولم تتمتع بحنانه الاخوي لذلك جعلتني مكانه ورغبت في التودد الي

— أنا مقتنعة بانك مقيم على عهد سيدتي وودها فلا نطل الوقوف الآن فقد وجب المسير لكلينا خصوصا وان فيروزا ينتظرك فعد اليه وأنا ذاهبة الى سيدتي

— ثم انها ارسلت قدميها في المسير وعجلت وعاد عزيز الى فيروز وقال له هيابنا يافيروز فسارا معاً وبينما هما سائران قال عزيز لفيروز : ماذا رأيت يافيروز في العهد الذي تعاهدنا عليه من ذي قبل

— ان سيدي اعلم باخلاصي واني لا أخون ولا أمين . ولكني أرى أن الخير لك في مطاوعة أمك والعمل على مبدأ الشرف العائلي . وان ابنة العم لهي الحياة السعيدة المتاحة لك فلا تردها فانها والله خير نعمة تيحت اليك . فقال له عزيز ان حبيبتي الاولى يافيروز قد شغلت عواطفي ولم تترك في فؤادي محلا خاليا لغيرها فما العمل ؟ .

— دع هذه الاحلام ياسيدي وعجل بالمسير فان سيدتي في انتظارك وسينشرح صدرك و ينثلج فؤادك بما ستراه من دلائل العزة وتشعر بلذة اللقاء مع ابنة العم الكريمة . ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى المحل الذي به ام عزيز وابنة عمه وهما على مثل أحر من الجمر تتقلبان فقامت الى عزيز ابنة عمه ولاقته ببشر وترحاب وابتسام

وسألته عن سبب غيابه وهي في انتظاره بعبارة رقيقة أخذت بالمجامع وهيجت بلابل السامع فذابت مهجة عزيز وضعفت قواه عن مقاومة هـذا السحر الحلال الذي تقوى بثيه الفانية ودلالها ولم يسعه الا أن خضع وصمت ولم يقـدر أن ينطق ببنت شفة تلقاء سطوات الجمال والاعتدال المنصبة على فؤاده المكلوم المعبد للاوصاب والهمـوم . بيد أجاب بذهول عن سبب غيابه بالفاظ جعلته ينسى كل قول وفعل وسبب . أما أمه فانها كادت أن تحنق عليه وترسل سهـام غضبها الى صـدره ولكنها حاشت فواعل غضبها وأمسكت عن التأنيب لما رأته من انهيـال اركان قوى ابنها أمام قوة هذا الجمال الرائع وهيكل هـذه الفاتنة التي تكاد أن تعبد لاستجماعها اسباب الاحترام والاعزاز اذا استحوذت على كل عواطف عزيز وانسته كل سوالف الحياة ولم يذكر منها سوى محضره مع تلك الجميلة ابنة العم الجليلة فلما شعرت ابنة عم عزيز بما اصابه من دهشة الحالة بادرته قائلة انك يابن العم صح فيك قول القائل . القادم دهشة . واندهاشك هذا ليس بغريب فان الاسباب التي دعتك لان تترك وعوداً . وتاتي الى هنا ليفرح بك آلك خصوصا ابنة عمك التي تحبك من صميم فؤادها حباً اخوياً يدل على عواطف الحنو والاشفاق يجعل لك مكانة جديدة في نفس هذه الغيورة على سعادتك الحريصة على مستقبلك فما اتمت ابنة العم كلامها بهت عزيز واطال النظر اليها وهي تخاطبه هذه المخاطبة الملأى بالحنو والاستمالة والاستعطاف ثم انه اطرق مليا ولم يفه ببنت شفة فقالت لها امه . مالي اراك ياعزيز صامتا . هل جئنا الى هنا لنتنزه وتثلج صـدورنا ونتبادل اسباب السرور معا أوجئنا لنستسلم لعوامل الحياء والخجل والفكر فيما لافائدة فيه ؟ . الم يأن لك ان تعود الى رشدك وتصرف عن فؤادك كل شيء يضر ؟ . ان ابنة عمك ياعزيز تحزن اذالم تره مسرورا فما الذي يشغل فكرك ويجعلك تطأطيء برأسك سابحا في بحار الافكار ؟ .

— أني ياوالدتي اعلم علم اليقين ان ابنة عمي التي تفضلت باظهار حنوها علي تستحق ان تكافأ بالروح وان زيادة سروري بها هي التي جعلتني امامها على هـذه الحالة اعترافا بالجميل واحتراما لآدابها وكمالاتها

— لابأس عليك يا ولدي فهي كاختك ويهمها مايهمك وغدا تكونان معاً فاترك هذا الاطراق حتى تصبحا قرينين ويدور بينكما عتاب الود والصداقة . . . . .

فضحكت ابنة عم عزيز ونظرت اليه نظرة معها الاستفهام والاستخبار عما استجن في فؤاده من قبلها فرأت عزيزا يطارحها هذا النظر بعينه فأفعم فؤادها سرورا وازدادت نحوه حنوا وانعطافا فلما رأى عزيز منها هذا التقرب المنبعثة اسبابه عن فؤادها المدله فيه نسي كل شيء سواها ومد يده اليها راجيا ان يتمشيا قليلا في تلك المروج النضرة والاحراش الخضرة فأجابته الى طلبه وقامت معه واستأذنت من السيدة الوالدة فأذنت لهما بسرور وارتياح لما تعلمه أيها القارئ من سياق هذه القصة

وبينما هما سائران يتجاذبان اطراف الحديث اذ وقع بصر ابنة عم عزيز على طفل جميل الصورة فرنت اليه واستلفتت نحوه نظر ابن عمها قائلة . متى يكون لنا مثل هذا الطفل يلعب بين ايدينا ونتسلى به عن هموم الحياة يا عزيز .. فخفق فؤاد عزيز ولكنه تدارك أمره وقال . اذا اراد الله لنا ذلك يكون ولا تحجير على فضله

— ما أعذب موارد الحياة اذا كانت اطفالنا تدير علينا كؤوس صفوها ياعزيز . ألا ترى أنه يلزم لنعيش في هناء وراحة بال ان نعجل بالزفاف والقران أولك امل في غيري ياعزيز ..

— لا أمل يا ابنة العم في سواك وانما للظروف احكام لا بد من الاستسلام لها اذا أراني مضطرا لتأجيل الزفاف حتى تمضي اشهر القيظ الشديدة ويأتي فصل الربيع أي بعد عودتي من أوربا

— ومتى عزمت على السفر الى اوروبا ياعزيز

— في أول شهر مايو المقبل (وكان اليوم الذي هما فيه على هذا الحال هو ابتداء العشرة الثانية من شهر ابريل سنة ....

— كيف تتركني يا ابن العم وحيدة ولا انيس لي سواك واخي على ما تعلم مسافر الى أوروبا أيضاً ويريد الاقامة بها سنوات ليتم دراسته هناك الم يكن من المصلحة لكلينا ان تعدل عن السفر الى أوروبا في هذا العام ونسافر معاً الى جهة من الجهات اللطيفة الهواء كرمل الاسكندرية أو رأس البر ..

— لا استطيع البقاء في مصر يا سيدتي طول هذا الصيف لتعودي الاصطياف في اوروبا ومع ذلك فزمن النوى قريب والمراسلات بيننا تدور فتخفف عن فؤادينا وطأة البلابل

— آه ياعزيز لو كنت كما أنا لما فكرت في السفر ولكن فليفعل الله ما يشاء

ثم انها أطرقت برأسها مفكرة واظهرت الاسى والاسف فهدأ عزيز روعها بلين كلامه وعدها بانه لا يغيب في اوروبا وأقسم لها الاقسام بانه يعجل بالزفاف على أثر عودته وربما اتى بأخيها معه ليحضر مهرجان الزفاف فاطمأن فؤادها وسكن جأشها وقد طال وعليهما أمد الانفراد واسدل الليل حجب ظلماته فرجعا الى حيث أتيا وهناك وجدا والدة عزيز تنتظرهما بفروغ صبر حتى اذا رأتهما لامتهما على غيابهما ثم تأهب الجميع للركوب فأراد عزيز ان يركب مع ابنة عمه في عربة فلم تسمح له الوالدة وامرته بالانفراد في عربة وحده .فأطاع وسارت بهم العربات تجرها الجياد الصافنات الى ان وصلوا بسلام الى قصرهم آمنين

تركنا كاليرو تعدو عدو العاديات قاصدة بيت حبيبة عزيز لتخبرها بأن رواية الدكتور صادق غير صحيحة وان حبيبها على عهدها مقيم ولم يشغل فؤاده بسواها فلما صلت الى ذلك البيت وجدت تلك الشيقة المسكينة تتقزز من آلام الجوى وتلتفت يمينا وشمالا كأن بها جنة حتى اذا رأت كاليرو مقبلة همت وهرولت للقائها وسألتها عن سبب غيابها فقالت كاليرو لها :

ان من المدهشات ياسيدتي ان رواية الدكتور صادق اشقيقتك لا محل لها من الصحة وان عزيزا مقيم على عهده اذ ألفيته ينتظر على مثل الجمر ولما رآني سألني بتلهف وتوق عظيم عن سبب تخلفك يا سيدتي عن الحضور طبق مرسوم الوعد بينكما فأخبرته برواية الدكتور فاندهش وأبدى أسفه وحزنه الشديد على فساد سرائر الاخوان في هذا الزمان وكادت نفسه تطير شعاعا لولا أني سليته وقلت له لا تحزن فهذه المسألة اخت تلك (اي مسألة الكتاب المزور) وعلى ذلك اراد ان يرسلني الى سيدتي لاستدعائك اليه ولكني رأيت الوقت قد أزف واقتربت جيوش الظلام تريد الهجوم على جنود النور فوعدته وعدا اكيدا بأن اللقاء يكون في عصاري الغد . وهذا ماجرى ياسيدتي وحبيبك به من حبك اعظم مما بك ومسألة ابنة عمه فهذه اخته للرضاع فيتعذر القران بها ولا يأتي ان يتزوج الاخ بأخته في شرائع الدين

ـ ان هذا الشيء عجاب تالله ياكاليرو اني لمتوجسة شراً من هذا الدكتور الغاش وكدت أسيء الظن بأختي ولكن فليدبرا من المكائد مايريدان والله غالب على امره أما عزيز فاني واثقة بحبه ووده وضميري هو رسول الوفاء بيني وبينه وانك ياكاليرو

اصبت بقريب الوعد فاني متلهفة على رؤياه لعلنا نجد سبيلا الى اقتراب وصالنا وانقطاع سلاسل الوشايات ودواعي السعايات فاكتمي هذا الامر عن اختي وكل من في البيت حتى اذا دبرنا امرا يكون به دوام اجتماعنا ننفذه بالرغم عن كل عقبة تعترضنا وبينما هما يتحدثان اذ دخلت خادمة البيت واخبرت حبيبة عزيز بأن الدكتور صادق حضر ليعودها فكرهت لقاءه وقالت ليس بي من اسباب العيادة مايدعو الى لقائه فلينصرف بسلام فاستملت الخادمة وعادت راجعة فاستدعتها ثانيا وقالت لها: قولي للدكتور صادق ان صحة سيدتي جيدة وليس بها شيء يستوجب العيادة وهي شاكرة احساسك نحوها ومساعيك الخيرة اليها واصرفيه ولا تدعيه يدخل غرفتي مرة اخرى مادمت حية

فاندهشت الخادمة وخرجت واخبرت الدكتور بذلك فبهت وكانت شقيقة حبيبة عزيز معه فنظر اليها نظرة استخبار عن معنى هذا الكلام فلم تجبه بشيء فاضطر للرجوع ونزل وفي فؤاده لوعة وحسرة

أما كاليرو فانها بعد ان خرجت الخادمة أخذت دورا في الحديث على انواعه مع حبيبة عزيز ثم همت بالانصراف فاستحثتها الحبيبة على الحرص على الموعد لتنتظر الحبيب كما انتظرها . وعلى أثر ذلك جاء داعي العشا فهرولت حبيبة عزيز الى المائدة فرحة مسرورة فسر آلها بحالها وعجبوا من نشاطها وفرحوا بذلك فرحا شديدا فاحاطوا جميعا بالمائدة يتناولون مالذ وطاب فلنتركهم كذلك ونرجع الى عزيز وما كان من امره بعد الوصول الى البيت

ذهب عزيز مع امه وابنة عمه الى القصر فلما وصلوا طلب من امه ان تسمح له بأن ينفرد في غرفته ليستريح قليلا فأبت عليه ذلك وقالت له : لا تعجل على الخلوة فان موعد العشاء قريب خصوصاً وان ابنة عمك معنا الليلة وستتناول الطعام على المائدة : فلم يسع عزيزاً الا الرضوخ لقول والدته والاستسلام لما رأت ثم انهم دعوا جميعاً الى المائدة فالتفوا حولها وتناولوا ما لذ لهم من طعام فاخر وشراب عاطر طاهر . و بعد ذلك طلبت ابنة عم عزيز أن تسمح لها السيدة الوالدة لتذهب الى بيتها حيث قد طال غيابها فأذنت لها بذلك وسلمت عليها وعلى عزيز الذي أراد أن يشيعها الى البيت فآثرت راحته على الائتناس بها في الطريق ثم ركبت عربتها وسارت الى بيتها

أما عزيز فانه أراد أن يفاتح أمه في أمر السفر الى أوروبا ولكن رأى أخيراً أن يؤجل ذلك الى ما بعد الاتفاق مع الحبيبة وعلى ذلك استأذن والدته في الانفراد فأذنت له وهم ذاهبا الى غرفته حتى دخلها وأمر الخادمة باغلاقها وكان ذلك ثم انه استلقى على ظهره وأخذ يترسل في أحواله ويجتلب أفكاره بكل تحسب وتمعن . وهو في كل دقيقة يجد في نفسه انعطافاً داخليا نحو ابنة عمه . وصار ينمو هذا الانعطاف حتى كاد أن يزاحم العلائق التي بينه وبين حبيبته . بعد أن لاحظ أن الصبوة الجديدة لم تكن لتقتلع جذور ذلك الحب الراسخ الذي تمكن من فؤاده ولم يعلم له عقبي بل لم يفقه حقيقة رسوخه ان كانت متأصلة كما يتأصل الحب الطاهر أو هو حب شهوى كالمرض يزول بحصول الغاية . ففكر في ذلك ورسخ في نفسه ان ابنة عمه أحق بأن يسلمها قياد فؤاده من سواها

وبينما هو كذلك يسبح في تيار الفكر تتقاذفه الامواج الهائلة واحدة ترفعه والثانية تحطه اذ لاح له بارق فكر جديد . وهو أن يبلوا فؤاد حبيبته فان كانت طاهرة من أوضار الشهوات وتستحق أن تكون ملاك حب في العائلات العالية أقام على عهدها والا عاش معها عيشة الشبهة حتى يتم له القران بابنة عمه . وكل هذه الوساوس الشيطانية كانت تجد من فؤاد عزيز فراغا فتتمكن فيه لفرط اعجابه بذكاء ونبل ابنة عمه التي تعتبر حبيبة جديدة زاحمت عشيقة تليدة . وعقد عزيز نيته على ان يعرض السفر على حبيبته فان رضيت به سافر معها وتجشم اخطار الاسفار حتى يتبين له الليل من النهار والا فيجتهد في إضعاف عوامل حبها ويحارب أمياله بسلاح التصون والتعفف حتى يجد الى الحياة الطاهرة سبيلا بحسن سلوكه لخلوه من الريبة ومظان الفساد والشبهات

كان عزيز في هذه الحالة متأهباً للنوم فعرته سنة منه أخذت به الى عالم الخيال الفسيح فتجلت في مشهد أحلامه صور وأشباح مختلفة تميل الى التغرير بهناء منتظر وراحة عذبة مكنونة له في بطن الغيب فذهب مذاهبها حتى الصباح فقام من نومه مسروراً بما رأى من الاحلام وأجرى رسوم العادة بكل تدبر واتقان فسرت امه من حالته وتوهمت أنه استسلم للفضيلة وجنح الى العقل والرشد وهجر الفساد ولم يطاوع هواه . وبعد أن تناول شيئاً للافطار ركب عربته وصار يصول بها ويجول بين

شبرا والمطرية حتى اذا جاء وقت الاصيل رجع الى قصره وتناول الغذاء واستراح قليلا ثم ركب عربته في الساعة الرابعة وأمر السائق أن يسير به الى الجزيرة حيث الوعد فلما وصل محل اللقاء وجد ثمة حبيبته مع كاليرو تنتظر انه بفروغ صبر فتخلى عن العربة وصرفها وانثنى الى حيث تلك الحبيبة واقفة تتلفت ذات اليمين وذات الشمال وحياها تحية بفنها بها فكادت تقع مغشياً عليها لولا أن تركها وأشار الى كاليرو تتبعه فتبعته فنبهها الى محل خلو من المارة بعيد عن العمران لا يصل اليه الا حبيبان مدلهان او لصان فاران وقال لها: احضري بها معك الى هذا المحل حتى تتمكن من تبادل عبارات الود على بعد من الناس . فأسرعت كاليرو في السير حتى اذا وصلت الى تلك الحبيبة المسكينة فوجدتها مندهشة من هذا اللقاء وكيفيته التي لم تخطر لها على بال حيث حياها حبيبها ثم انصرف فجأة وتبعته كاليرو بيدانها ظنت ان حبيبها خاف عليها من الرقباء . فحضرت بها الى المحل الذي فيه عزيز فلما خلى لها الجو وارادا أن ينشا كيا ويتبادلا احوالها ويقول كل منهما لصاحبه ما جرى له انعقد لسانهما عن الكلام ولبثا ينظر احدهما في وجه الآخر من غير كلام حتى مضت ساعة بمامها وهما كذلك لا ينطقان يشأ كهان الاحجار الجامدة

اوالاشباح الهامدة وبينماهما كذلك اذ سمعا ضجيجايشبه وقع حوافر الخيل المجدة فأفاقا كأنما كانا نائمين ونبههما منبه حثيث فانتظر نتيجة هذا الضجيج واذا بعربة مرت على حين غفلة فتواريا عنها ثم رجعا الى شعورهما وابتدأ عزيز يقول لحبيبته

ماهذه الاحوال ياشقيقة الروح ومليكة الفؤاد . والى متى ونحن في هذا التباعد والتنازح . ألم يكن من اللازم ان ندبر طريقا لاجتماعنا دائما اوموقتا حتى نتمتع باللقاء ويهدأ روعنا من دواعي الفلاء . تدبري ياحبيبتي في مركزنا هذا الحرج المحفوف بالاخطار . فالجفاء دائم والدسائس محيطة بمركزنا من كل جانب والاعداء يواصلون الليل والنهار في خلق اسباب التفريق والبين مع اننا اصبحنا لايقدر احدنا على فراق الثاني انظري أيتها الحبيبة وتأملي في احوالنا وكيف تكون النتيجة لو تركنا حبنا غرضاً لتقول والوشايات والسعايات والدسائس والوساوس

— آه ياحبيبي عزيز . . . ماذا اقول لك وفؤادي بين عوامل مؤلمة تساقه الى مهاوي مظلمة . آه ياعزيزي عزيز لوان عدوا قاسي الفؤاد ينظر الى ما اشتمل عليه فؤادي

من عوامل الأسى والحزن لرق ورثى لحالي ٠ماذا اقول وما اعيد وزمام حياتي في يدك فان شئت ان تسعد فافعل وان شئت أن تشقي فشأنك وما تريده دبر ماشئت وانا طوع أمرك رهينه اشارتك لايعترضني مانع او عائق وان آلى جيما لايهمني منهم احد٠ فأنت حياتي وموضع سعادتي فتحكم كيف شئت ولا أكلفك الا برعاية فؤادي الذي هو أسير هواك والمنعم بحبك ايها العزيز المحبوب

انى ايتها الحبيبة مخلص لايهمني الا حفظ فؤادك الذي هو حارس فؤادي٠ فلاوربك أيتها المصونه لابذلن وسعي في مرضاتك ولكن يختلج في ضميري أمر واحد يدور على محور تمتعنا أيام الصيف في بلاد بعيدة من بلادآكنا حتى نأمن عذل الرقباء. ومن المذال ولي عادة مقررة أيتها الحبيبه أن أقضي أيام الصيف في ربوع اوربا ترويضاً للنفس وتبديلا للهواء فهل يرضيك ان نسافر معاً الى حيث نقيم بعيدين عن كل نظر٠؟

— ان ذلك يفيدنا اذا تمكنا من السفر معاً من غير ان يكدر صفونا مزاحم . ولكن من اين لفتات شرقية ان تسافر وحدها الى بلاد بعيدة ويأمن عليها آلها الا اذا اتضح أمرنا وافتضح سرنا ؟. وهذا لايرضيك أيها الحبيب. والرأي عندي أن تتم استعدادات البيت الذي تخيرته لنا كاليروا في الخرنفش حتى اذا تم ذلك اجتمعنا دائما وتمتعنا معاً خصوصا وان أبي ومعظم العائلة سيسافرون الى اوربا كعادتهم ويخلولنا الجو ونبقى في هناء دائم مدة الصيف بلا رقيب أو عاذل

— اني ياحبيبتي أشمت بين آلى اني مصر على السفر الى اوربا في هذا الصيف ومع ذلك فيسعني اعلان العدول عن السفر لاسباب أنتحلها . وعلى كاليرو أن تتم مأموريتها في اعداد سائر مايلزم لنا بالبيت المذكور فنجتمع فيه في هذا الاسبوع ويتم مقصودنا بخير وأمان

— لايهمنا المعدات ايها الحبيب فحسبنا محل واحد نجتمع فيه ولو على حصير فان حالتنا تستدعي سرعة اللقاء ولا يريح المحبين قليلاً سوى الوصل القريب ٠ ٠ ٠ ٠

— لا بأس يا حبيبتي ٠ اذاً فيكون اجتماعنا في هذا البيت غداً ريثما تكون كاليرو قد أعدت لنا غرفة نتمكن فيها من اللقاء — ثم التفت الى كاليرو وقال لها هيا ايتها الصديقة الامينة فافعلي مأمرتك حالا نحو هذا البيت ٠ وناولها ورقة مالية بمبلغ ينوف عن الخمسين جنيها فتناولتها كاليرو بفرح وسرور وهمت بالذهاب فأرادت حبيبة عزيز

أن تذهب معها فقال لها عزيز:

اعلمي أيتها الحبيبة أننا الآن علمنا ما سيكون بيننا من دواعي الاجتماع وأريد أن أعلم المواقيت التي يكون الاجتماع فيها مقررا .

— أنا الآن لا أقدر أن أعين المواقيت لاسباب نفسية فأرجوا أن تنظرني الى غد حتى أدبر أمري في ساعة الليل خصوصا وانا الان فرحة والفرح لاينام الا قليلا

— لا بأس ياحبيبتي وانا منتظر حضور كاليرو عصر غدا بالقصر

— اذا فليسمح لي مولاي بالذهاب الآن وان لم تكن قد نقعنا غلة الشوق ولكن فرح الوعد بقرب اللقاء شجعني على طلب الذهاب حتى أدبر أسباب اجتماعنا دائما في أوقات واسعة

— الامر كما تريدين ياسيدتي الحبيبه

ثم انهما ودع بعضهما بعضاً وانصرفا سائرين كل الى منزله . وكانت كاليرو مع حبيبة عزيز فلما وصلتا الى محل تلك الحبيبة اختلتا وتجاذبتا أطراف الحديث فيما يكون من أمر عزيز مع حبيبته وكان موضوع حديثهما كما يأتي

كاليرو — ان أحسن الاوقات وأوسعها للقاء الحبيب هو وقت يبتدئ من الساعة الثالثة بعد الظهر الى الساعة السادسة ولاداعي لأن يكون ذلك يوميا ضرورة ان الامر يظهر بسبب التكرار

الحبيبة — لا يظهر شيء الآن ووالدي مزمع أن يسافر قريبا الى أوروبا ويحاولون الجوورب! سافرت الوالدة معه والدكتور صادق يريد السفر فبالطبع تسافر شقيقتي أيضاً وعندئذ لا نجد منغصا أبداً لو أمضينا النهار كله والليل جميعه الا قليلا

— نعم ولكن هذا بعد السفر أما قبله فلا بد من الحذر حتى لا يظهر للعائلة سبب التخلف فيما اذا دعوك أن تسافري معهم

— اني على بينة من ذلك وسنحتال على كتمان أمرنا ولو نجتمع مؤقتاً كل يوم من الساعة الثالثة الى الخامسة بدعوي ترويض النفس والتنزه على شاطئ النيل

— هذا ما أراه يا سيدتي فاسمحي لي الآن بأن أتوجه الى زوجي وأمارس معه في أن يكتب إجارة البيت باسمه ثم نحضر فيه شيئا من الاثاث يصلح لراحتكما

— عجلي ياصديقتي ولا تبطئي علي بل اجعلي نصب عينيك اني منتظرة قدومك

بفروغ صبر وسيكون الغداء هناك فجهزي لنا شيئاً نأ كله ولو قريب المغرب وعند عصر الغد تتوجهين الى قصر عزيز وتخبرينه بكل ماتم بيننا وقولي له : ان حبيبتك مسرورة فرحة متهيجة الى لقائك

— على العين والرأس يا مولاتي

ثم ان كاليرو انفلتت مسرعة الى زوجها وتركت حبيبة عزيز في بيتها فلما اجتمعت بزوجها أخبرته بالأمر وما تم الاتفاق عليه فقال لها : من أين جاز لك يا كاليرو أن تجعلي مثلي منغمسا في حمأة الدياثة وتهدمين صرح شرفي • • أما قلت لك يا كاليرو، ان الشرف مع الفقر خير من الغنى مع فقدان المجد والشرف •

— لا تعجل باللوم أيها القرين القليل التدبير واعلم أن الدياثة ليس معناها أن نعلم باجتماع حبيبتين تحت حمايتنا انما معناها أن يكون أحدنا غير طاهر في نفسه . فما دام كل منا على عهده مع صاحبه مقيما • فلا لوم علينا خصوصاً وان ذينك العشيقين ليسا من ديننا بل هما أجنبيان انصرمت حبال آمالهما في الحياة الابناء فما المانع من أن نأخذ المال من هذين المتوهين ونعيش في هناء حتى نجمع ثروة طائلة من وراء هذا الامر المفيد • • ارجع الى عقلك يا قريني وهيا نتم الامر لئلا تضيع الفرص

— الامر لك فما دام المال رائد العمل فلا بأس من أن نجتهد في تدبير أمرنا فهيا بنا ياكاليرو ولنكتب اجارة البيت

فقام زوج كاليرو وقامت هي معهُ وقصدا صاحب المنزل واستأجراه منه ودفعا اليه القيمة سلفاً ثم توجها الى محل تجاري كبير واشتريا منه أثاثاً وفرشا ونقلا كل أمتعتها مع ذلك الاثاث الجديد الى ذلك المحل وجهزا طعاما فاخرا لبثا في تجهيزه الى العصر فهمت كاليرو وقصدت قصر عزيز فألفته ينتظرها بفروغ صبر فأخبرته بما جرى وقالت له اذا توجهت الى المحل تجد زوجي هنالك ينتظرك فتجلس معه حتى أعود اليك بالحبيبه . فشكرها عزيز على عنايتها واهتمامها وأذنها بالانصراف فانصرفت الى بيت الحبيبة

أما عزيز فانه بعد ان ترك حبيبته أبان القاء أمس يومه جاء الى قصره يفكر في منتهى أمره مع تلك الحبيبة بعد أن أشاع في آله أنه عدل عن عزم السفر الى أوروبا في هذا الصيف وأمر فيروزا أن يبلغ نبأ عدوله الى ابنة عمه التي يسرها ذلك

العدول . ثم انه بكر من نومه وسلم على والدته وقال لها :

اني أيتها الوالدة رأيت أن أعدل عن السفر الذي كنت مصرا عليه لسبب يهمك وهو اخبار شقيق ابنة العم بأمر خطبتها وزواجها بي لعله يرغب في الحضور الى مصر لمشاهدة مهرجان الزفاف . ولكن يكفي في ذلك أن نكتب اليه كتابا نخبره بعزمنا على القران بعد الحصول على الاذن من معالي ابن العم الاكبر ....

فلما سمعت أمه هذا الكلام سرت سروراً عظيما وتبسمت عن ثغر الحنان الوالدي وقالت :

أتريد يا ابني أن أعجل لك بالزفاف ليطيب لك الوقت بابنة عمك الجميلة الكاملة . . . اذا كنت ترغب التعجيل فلا يتوقف زفافكما على شيء سوى يوم واحد أقابل فيه بنفسي ابن عمك الاكبر وكبار الاسرة ونحتفل بعقد العقد و يتلو ذلك مهرجان الزفاف

— كنت أريد التعجيل حالا ولكن يلوح لي أن أعلن أولا أمر الخطبة في العائلة ثم نمسك عن الزفاف حتى ينتهي قيظ الحر وأنت في كل ذلك صاحبة الامر والنهي

— هذا يا بني رأي سديد وأسد منه أن تكثر من اختلاطك بابنة عمك حتى تبلو أخلاقها وتعود على عشرتها فلا يكون بينكما الا ما تريدان

— هذا أمر لا بد منه يا والدتي لانه ضروري لمن أراد الزواج أن يكون على بينة من حال من ستكون شريكة حياته وموضوع آماله . فان العشرة الدائمة يلزم لها التحري قبل الوقوع في فخوخ القنص على اني أعتقد أن ابنة عمي على جانب عظيم من الوداعة ودماثة الاخلاق وسلامة الاذواق . ولها المام تام بفنون الحياة العائلية وأساليب الآداب اللازمة

— وبينما هما كذلك اذ حضر فيروز يقول لعزيز : أن ابنة عمك تشكرك على العدول عن السفر وعلى عنايتك بأخبارها بذلك وكانت تود الحضور في هذه الساعة ولكن منعها وجود زائرات من عقائل العائلة وغيرهن وربما حضرت صباح الغد لتمضي عندنا اليوم كله فسر عزيز بعدم حضورها لئلا تشغله عن وعد حبيبته وسر والدة عزيز بنجاح سياستها في إشعار فؤاد ابنها بالصواب والرجوع الى الحق والفضيلة

لبث عزيز في القصر مع والدته حتى أتى الموعد المنتظر فلبس ثيابه ونزل وجلس

على باب القصر وحوله خدمه وحشمه حتى اذا جاءت كابرو كما قدمنا وأنبأته بما تم وذهبت لاستحضار تلك الحبيبة . وعلى أثر ذلك قام عزيز ومشى على قدميه حتى وجد عربة فركبها وأمر السائق أن يسير به الى الخرنفش وهناك نزل عن العربة بعيداً عن البيت المعلوم ثم مشي حتى وصل الى باب البيت فوجد زوج كابرو فسلم عليه ودخل فصعد معه الى غرفة مفروشة فرشاً جديداً وجلسا يتحادثان قليلا واذا بعربة وقفت أمام البيت فأطل زوج كابرو من شباك المنزل فوجد زوجته ومعها فتاة شرقية لم يعرفها فنزل وفتح لهما ثم خرج وترك البيت لمن فيه . أما كابرو فدخلت مع تلك السيدة وهي حبيبة عزيز وصعدتا الى الغرفة فوجدتا عزيزا قد خلع ثيابه ولبس ثوب نوم فما كادت حبيبته تراه حتى سقطت عليه ووقعت بين يديه . . . .

ولنترك هذا المشهد لغيرنا من ذوي الخيال يصفونه بما تصل اليه أفكارهم الحادة فانه في الواقع مشهد مدهش ومنظر يقف عنده كل فكر : يرى القارئ شبحين لا روح فيهما غير روح العشق والغرام ولا حركة لهما غير حركة التدله والهيام وقد جذبهما مغناطيس الوجد اختضاما واعتنقا ولبثا لا يشعران ولا يحسان كأنهما في عالم جديد لا يدريان بأحوال عالمهما القديم . غشيتهما نوبة الفناء فصرعت كليهما وجرت عليهما ذيل التناسي والاغضاء عن كل مافات فكأنما قد ولدا جديداً ليس لهما عهد باقتراف ذنب في هذه الحياة أوهبت عليهما نسمة الهوى المنشور عليها فأبادت قواهما وزعزعت أركان حياتهما فصبا كل الى أن يكون لصاحبه وطاء أو غطاء وانتقل حالهما من طور العادة وزخرفها فتجددت بينهما نشأة شر جديدة نسيا فيها كل خلق من أخلاق العائلات فمرت عليهما الساعات وهما في حركات وسكنات حتى قضى الشيطان منهما أربه ولطخ وجه العفاف بينهما بلطخة العار المستمر .

كل ذلك جرى وهما لا يدركان ماذا جرى بل انحبست عنهما أشمة الفضيلة وتزينت لهما الرذيلة فأتياها مكرهين لعوامل الهوى الذي تبدل من طور الطهارة الى طور الشهوة والدعارة . و بينما هما في هذا الحال المريج اذ دخلت عليهما كابرو واندهشت لما رأت الدم يسيل على الملابس والفرش الوثير فنبهتهما الى ماجرى منهما فلم يظهرا اكتراثاً بما حصل ووقع بلا عاودا ما كانا فيه من غير اضطراب ولا خجل حتى كادت أروقة الظلام أن تمتد على أبراج النور فرجع اليهما صوابهما ورشدهما

ونظرا الى حالتهما وما وصلا اليه في هذه السكرة الطويلة فبدت على عزيز أمارات الكدر فبادرت حبيبته بقولها : لا تتكدر يا سيدي فأنا فداؤك ولا تخف من شيء فانك لي على مدى الحياة . والذي يهمنا الآن أن نغير ملابسنا هذه بسواها ونترك هذه التي تلوثت بالدماء

هنالك دعا عزيز بكابيرو فحضرت فقال لها عليك الآن يا كابيرو أن تحضري لنا ملابس لتسترنا حتى نصل الى بيتنا ففتشت كابيرو في ثياب عزيز فلم تجد أثرا للدم في ثيابه التي كان قد لبسها للنوم فاطمأن خاطر عزيز . أما حبيبته فانها رأت ملابسها كلها ملوثة بالدم ما عدا ازارها فغيرته وغسلت كل شيء ثم طلبت الطعام فأكلت مع عزيزها كأن لم يحدث شيء وكأنها تمني نفسها بقرانها بعزيز ولذلك لم تبالي بما وقع من ذهاب بكارتها ونومها على فرش الدعارة والعار استسلاما للرذيلة واجتنابا للآداب والفضيلة

أما عزيز فانه وجد في نفسه شعورا جديدا يدعوه الى سرعة القيام ولذلك لم ينتظر الى ريثما ينتهي مجلس الطعام وهم بالاستئذان من حبيبته الذهاب الى بيته حيث كانت الساعة تدق الثامنه مساء فأرادت أن تمين معه مجلساً كالذي مضى فأبى عليها ذلك خشية أن تنشغل خواطر أهلها وقال لها ان غدا لناظره قريب . فقامت وعانقته وقبلته وأخذت عليه ألف ميثاق بأن لا يضن عليها كل يوم بمثل هذا اللقاء . فوعدها بالوفاء وتركها وانصرف بسلام .. ولا سلام

الفصل السادس

ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته   لتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل الى النفس تستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

نزل الستار في الفصل الخامس وفي الضمائر مؤلمات لا تكيف ومزعجات لا توصف ومروعات تركت القلوب تتقزز والنفوس تتحسر من جراء تلك المناظر التي وقف دونها العفاف ذليلا يرمقها بنظر الكآبة ويندب أمامها شرف الصيانة والامانة وخرج العاشقان وفي نفس كل منهما ألف حساب لما جنياه على الفضيلة والشرف واقترفاه أمام شعورهما الحي وشرفهما الطاهر — وصلت الحبيبة الى قصرها . وهي تناجي ضميرها وتختط لغرامها خطة تسير على سنتها في الحال والاستقبال . فتارة تهيئ

نفسها على ذلك الفوز المبين وتعد ذلك الفخر الذى اكتسبه على مرسح الهوى من دلائل الانتصار على جيوش العثرات التي تعترض طريق حبها وهيامها . وطورا تستحيل هذه التصورات الى أسف وندم فتعض على أصابعها وتقف أفكارها عن حد التصورات فترى كا لتماثيل لا تشعر ولا تتحرك ثم تنصرف هذه الخيالات وتعود اليها حركة التمييز فتصل بادرا كها الى التفكر فيما يكون من أمرها لو ظهر أمر افتضاض بكارتها لوالدتها أو والدها فترجع الى ما كانت عليه من الذهول والذبول

هكذا كانت حالة الحبيبة وهي في طريقها وحال انفرادها في غرفتها — أما العاشق عزيز فانه وصل الى قصره وانفرد في حجرته واستلقى على ظهره وظل هكذا تتجاذبه الهواجس والافكار وتلعب به الاوهام والظنون الى أن لعب الهواء بألواح الصور التي كانت معلقة على حائط الغرفة فطرقت طرقاً شديدا نبهته الى حالته فقام وجلس على احدى المقاعد وأسند رأسه بكلتا يديه وتنهد بأنفاس حارة ثم لبث يفكر في حالته مع تلك الحبيبة ثم يتصور ذلك الاجتماع الشهوسي فيقوم و يقعد و يتمشى في الغرفة ذهاباً وجيئة ويهز رأسه بحدة اشارة الي الغيظ الذى كان قد امتلأ به فؤاده من هول تلك الرهصة الاجتماعية وهو في كل حركاته يردد هذه الابيات

نوائب الدهر أدبتني	وانما يوعظ الاديب
قد ذقت حلوا وذقت مرا	كذاك عيش الفتى ضروب
لم يمض بؤس ولا نعيم	الا ولي فيهما نصيب
كذاك من صاحب الليالي	تغذوه من درها الخطوب

استقر عزيز بعد ذلك في مكانه ولبث يتفكر في نصيحة صديقه التي كان يبديها اليه حينما دخل عليه ووجد كابرو في حضرته وقال في نفسه حقا ان الحب كما قال صديقي يبتدئ بشعور بسيط بانجذاب القلب الي المحبوب ثم يتعاظم ذلك الانجذاب شيئاً فشيئاً و يسمو ولكن تبقى الغاية مقصورة على نيل صداه فقط من المحبوب . ولا يشعر المحب بحاجة أعظم من هذه الغاية بل بالحري يشعر بالقناعة بها فقط ولكن القلب يغالط الضمير لانه يتدرج الى الغاية العظمى بتطلب الغايات المتسلسلة المنتهية اليها وعليه فمتى تبودل ذلك الانجذاب وعلم المحبين جيماً كانت غايتهما (القرب) لكي يتمتع كل منهما بجمال الآخر — على نوعي الجمال — واذ ذاك يتلطف الحب

ويسمو مقتصراً على (الحب العذري) ثم تسني للمحبين القرب واستفاض الحب في الفؤادين وتدفق من الملامح ولا سيما العيون والشفاة وجرى من الساتين مع سلسبيل الحديث أصبحت الغاية منه (الوصال) بأقصى معناه — هناك غاية كل حب مها تنوعت كيفياته وتعددت — وليس حب في العالم يقف قبل هذه الغاية الا اذا عز الوصول اليها . وعند هذه الغاية يبلغ الحب الى أقصى درجاته ومتى أدركت الغاية يفتر قليلا ثم تجدده الطبيعة لادراك الغاية أيضاً وهلم جرا

هكذا كنت مع حبيبتي في بادئ أمر غرامي وهكذا تدرجت مع الحب حتى بلغت تلك الغاية انقياد لاحكام الهوى والآن يظهر لي أن الحب قد فتر قليلاً كاقال صديقي في تعريفه الحب ولا أود أن تجدده الطبيعة لادراك غاية أخرى — آه — وقعت ياعزيز في حفرة خطأ لا نجاة لك منها — ماذا يكون من أمرك لواطلع آل الحبيبة على هذه الجناية وماسيكون شأنها يا ترى أمام ضميرها وشرفها . . . وآأسفاه — تخطيت حدود الصيانة والعفة وتجاوزت مفاوز الطهارة بعد ذلك التحفظ الذي كنت عاهدت ضميري وذمتي على عدم تركه — آه — أين انت الآن يا عزيز وأين عهدك وما الذي ستفعله بعد هذه الجريمة . أتترك الحبيبة بعد هذا العار وتهجر حبها وتبتعد عنها أم تسعى وتجد للاقتران بها رغماً عن ارادة والدتك وتتنازل عن ابنة عمك . . . . . ويل لي من هذه المصائب التي حطت بكلكلها على رأسي — واحسرتاه لو ظهر الحمل وانكشف السر

لبث عزيز هكذا تتلاطم أمواج الافكار في صدره حتى صرعته على الارض لا حراك به وغشيته نوبة عصبية وفي ذلك الحين دخلت عليه والدته وهو على هذا الحال فصرخت وصاحت على خدم القصر فجاؤا اليها سراعا وأحاطوا بعزيز احاطة السوار بالمعصم وانقضت عليه احداهن وحركت جسمه بيديها ونادته في أذنه قائلة : ماذا جرى لك ياسيدي . قم وخاطب والدتك ليهدأ روعها ويسكن جزعها . . .

عندئذ فتح عزيز عيناه ولعبت شفتاه كأنه يتذوق طعاماً أو يريد كلاما فهدأ روع والدته وجلست بجانبه واخذته على صدرها وأمرت الخادم فيروز باستدعاء طبيب القصر لتشخيص داء سيده فانتبه عزيز وابدى اشارة الامتناع ثم تنهد وجلس قليلا والتفت فوجد الخدم حوله يمينا وشمالا فأدرك الامر وانتابه الخجل الشديد اذ كان يود اخفاء الامر على والدته الا انه استدرك الامر وتجلد في القول امام والدته حيث قال لها :

لا خوف من هذا المرض ياوالدتي فلا ينزعج خاطرك علي واعلمي بأن هـذه
وارض أتتهما الافكار المتاخمة اللذة هناني والمكدرة لصفو عيشي وعن قريب تذهب
، هذه العوامل فلا تعود أبداً فاطمئني قلباً واذهبي الى حجرتك ودعيني لاستريح
يلا من هذه النوازل التي نزلت بي ولنا الله في تبديد صروفها حتى لا تقرب من
احتي مرة أخرى

ندئذ اقتربت منه والدته بعد أن أمرت الخدم بالانصراف عنها وقالت له : ماهذه
لتمية ياعزيز . ومن أين جاءتك تلك الافكار التي صرعتك على الارض وذهبت
بك الى عالم آخر . . لا — لا — أظنك رجعت الى جنونك القديم وعدت الى
سابق عهدك مع تلك الخائنة لعرضها وشرفها . فأعلم يابني أن المرء لا تفيده النصائح
ولا تفيده مبادئ الشرف اذا كان فاقد الادراك أو يكون الهوى قد غلب على أمره
وأنت هكذا عدمت الادراك وتملك فؤادك الهوى فلم يعد ينفع فيك النصح ولا
يفيدك الارشاد ولهذا فاني أتركك من الآن لوازع ضميرك واسلم قيادك لقادر على
ان يهديك صراطاً مستقيما فاستودعك الله

خرجت والدة عزيز من حضرة ولدها وتركته يتقلب ذات اليمين وذات الشمال
لا يستقر على حال من هول من أحاط به من الرزايا والاحن وظل هكذا يذرف الدمع
تارة ويسخط على ساعة الخلوة أخرى حتى طرق الخصي على باب الغرفة يستأذن في
الدخول على سيده فأذن له فدخل وقال له ان خادم ابنة عمك جاء يحمل هذا المكتوب
اليك وناوله اياه فأخذه وفض ختامه بعد ان نزل عن السرير فاذا فيه ما يأتي

حبيبي

أرجوك يا ابن العم ان تنتظرني في الساعة الرابعة بعد ظهر الغد لامر مهم أريد أن
أقصه عليك وقد شكرت الظروف التي حالت دون سفرك الى الخارج كما علمت اليوم
والسلام عليك (ابنة العم)

قام عزيز بعد تلاوة ذلك المكتوب وارتدى ملابسه وخرج من القصر لا يلوي
على شيء وما كاد يبتعد قليلا حتى فوجئ بصوة كالبرو على بعد فوقف باهتاً لا يتحرك
من مكانه حتى اقتربت منه وعلى وجهها أثر الكآبة والحزن فحيته بصوت ضئيل فسألها
عن أمرها فأخرجت من حقيبتها مظروفاً وناولته اياه ففضه وتلى ما فيه وهو

ياعزيزي

أكتب هذا وهو ختام ما أكتب اليك مادمت هكذا الى أن يقضى الله علينا واعلم ياحبيبي أن الامر قد ظهر لوالدتي ووقفت على السر بعد وصولي الى القصر بضع ثوان حيث كنت اقص على شقيقتي ماجرى لي معك في هذا اليوم لانك تعلم أني لا أخفيها شيئاً من أموري كلها خصوصاً وقد كادت أن تفهم الحال حينما دخلت علي في غرفتي وأنا مبلبلة الفكر ضائعة الرشد من هول تلك الساعة المملومة فسمعت والدتي كل ماحدثتها به من الاول للاخر وكانت حينئذ خلف ستار الباب تسترق السمع فلم ندر الا وهي بيننا ملقاة على الارض تنادي بصوت عال قائلة : ويلك ياخائنة هتكت عرضنا اضعت شرفنا . ذهبت كرامتنا ـ وهكذا من العبارات الجارحة المرة وكانت شقيقتي تضع يدها على فم والدتها حتى لا يسمع صوتها والدنا او خدم القصر ولا تسل عن حالي ياحبيبي في هذه الساعة . كنت لااسمع ولا أبصر كأني في عالم آخر وقد كتبت هذا اليك ووالدتي ترقب يقظة والدي من النوم لتقص عليه الامر وشقيقتي تخفف روعها وتطفئ نار غضبها ولا ادري ماذا يكون بعد ذلك . فبالله عليك ان تنقذني بمروءتك وحبك من وهدة العار ولا تكلني لامري فالبدار البدار لتمام الزواج او الهرب من هذه الديار دفعا لمظنة السوء وفرارا من الفضيحة والشنار وهاأنا في انتظار جوابك قبل ان يقضي علي اسفا وحزنا ولك الشكر من قتيلة هواك (٤٠٠)

أتم عزيز قراءة ذلك المكتوب ووقف كالصورة التمثالية لايتحرك فقالت له كاليرو : عجل ياسيدي بالرد لاني تركت حبيبتك على أحر من الجمر تهددها الظروف بعذاب أليم ورزء جسيم ولا ندري عاقبة هذه النوازل المؤلمة الجارحة فلعن الله تلك الساعة التي قضي فيها عليكما بهذه الفعلة الشنعاء

— كفى — كفى ياكاليرو فلم يعد في الامكان ملاقاة ما كان فيها ارجعي الى الحبيبة وانظري ماذا يكون من والدتها معها وعودي الي بما يحدث من الامور وها انا بانتظارك في غروب اليوم على كوبري شبرا

— لا يا سيدي فان مقابلتي بك لا تفيد الآن والذى أراه أن تحضر في صباح الغد الى منزل الخرنفش حيث تكون الحبيبة هناك بانتظارك وحينئذ يتسنى لكما

أن تدبرا في شأنكما وتختطا لمستقبلكما خطة تسيرا على سننها تلقاء هذه الصروف والنوائب التي اكفهر منها جو صفوكما لا سيما وأن حبيبتك التعيسة تكون قد اكتنهت ضمير والدتها وعلمت نواياها من جهتها .

— عند ئذ اطرق عزيز اطراقاً طويلا ولبث يذرف الدموع ويصعد الزفرات ويتلوى في موقفه كالطير المذبوح لا يستقر على حال من الألم وفي الاثناء أخرج منديله من جيبه ليجفف به غزارة الدمع فسقطت منه ورقة على الارض فالتقطتها كاليرو وهمت أن تناوله اياها فرأت على مظروفها طابع الجمع الأحمر فأخفتها في حقيبتها على غفلة من عزيز الذي كان يختبط في بيداء ظنونه وشجونه ثم أنها سألته الاجابة عن رأيها فأجابها بالايجاب وودعها وانصرف موليا وجهه قبل كوبري قصر النيل سائرا على قدميه يردد قول القائل

لوكنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر

أما كاليرو فانها أخذت ذلك المكتوب وعادت الى قصر السيدة وهي ثملة من نشوة الفرح والسرور وأخذت الظنون والاوهام تمرح في صدرها وتجول في فؤادها رجاء ان يكون في المظروف ما يخفف لوعة الحبيبة ويسري عنها بعض همومها وأحزانها وظلت هكذا الى أن وصلت القصر ودخلت غرفة السيدة فألفتها صريعة بين أنياب الاكدار وعيناها متقدتان كالجمر من شدة البكاء والنواح فتقدمت بين يديها وسألتها عما تجدد من الهموم والاحزان فقالت لها دعيني الآن وشأني يا كاليرو فالنتيجة سيئة لا محالة والفضيحة واقعة لا بد منها والعار لا ينمحي الى الابد

— ماذا جرى يا سيدتي بعد مبارحتي للقصر في هذه الساعة ... أهل والدتك لم تزل مقيمة على عنادها وهل شقيقتك لم تتمكن من تسكين غضبها واطفاء ثورة هياجها . . . . .

— لا — لا فالحال سيئ جدا فأخبريني ماذا فعلتي في مهمتك . . .

— فعلت كل خير وقد قابلت سيدي وسلمته خطابك وبعد تلاوته أمرني بأن أعود اليك لانظر ماذا تم لك مع والدتك وارجع فأخبره بما جرى ولكنني رأيت من الصواب أن يحضر الى منزل الطرنفش حيث تكونين أنت بانتظاره فيه

وهناك تتفقا على ما يكون وتتدبرا فيما كان وقد أجابني سيدي لهذا الرأي وعساه يكون طبق مرغوبك

ــ آه ــ منزل الخرنفش ــ منزل الخرنفش . ليته لم يكن . أنعود لذلك المنزل مرة أخرى ــ آه ــ ما أقبح ذكرى الخرنفش ومنازله

ــ رويداً يا سيدتي فلا تسلمي نفسك لعوامل الا كدار واعلمي أن للاقدار أحكاماً لا يستطيع الانسان مصادرتها مهما كانت قدرته بيد أن ما حدث بينكما لا يستدعي كل هذا الاهتمام لكثرة حدوثه بين العائلات الكبرى فلا تهتمي بالامر ولا يحرج صدرك ويل والدتك او جمجمة والدك فان هذا وقت يتخير فيه الانسان ما يحلو له . ولقد جئتك بمظروف سقط من جيب حبيبك أثناء بكائه حينما كان يتلو كتابك وأخرج منديله ليزيل به تلك الدموع التي كانت تنحدر على خديه بغزارة وهممت برد هذا المظروف اليه فنمني ذلك الطابع الاحمر المرسوم على ظاهره وقلت في نفسي عسى أن يكون فيه تسلية وعزاء لك مما أنت فيه من الهموم والاحزان وها هو يا سيدتي

تناولت السيدة ذلك المظروف وأسرعت بافتضاضه وتلاوته فما كادت تأتي على آخره حتى اهتز جسمها واصفر لونها وعراها ذهول شديد منعها عن النطق ولبثت تروغ بنظرها في أركان المكان حتى ظنت كاليرو أنها أصيبت بخلل في قواها وشلل في أعضائها فقامت وأوصدت باب الغرفة خشية دخول أحد عليها وهي بهذه الحالة وعادت اليها وجلست بجانبها ورغبت أخذ المظروف من يدها فلم تستطع اخراجه من بين أناملها لشدة الضغط عليه فاجتهدت في تخفيف تلك الغشية عنها ومكثت تحرك جسمها بيدها تارة وتضرب وجهها بالماء البارد أخرى حتى عادت اليها الحركة وذهبت خشيتها وقامت تتوكأ على الحائط وهي تهتز وتضطرب ولما لم تقو على الوقوف تماما عادت الى مجلسها وقالت لكاليرو . اذهبي عني الآن فلا تريني وجهك الا في صباح الغد حتى أتدبر في أمري وأكاشفك بعد ذلك بسري وجهري

ــ ماذا جرى ياسيدتي وما الذي تضمنه هذا الجواب فأهاج خاطرك وألقاك صريعة في غاية الذهول لا شعور ولا ادراك . .

ــ دعيني ياكاليرو فاني أود الخلوة قليلا لاستريح من المصائب والنوائب التي

برها على ما في ذلك الجواب الذي علمت منه ان عزيز تتساغل بغيرنا عنا وحول
جهه نحو ابنة عمه وهذا هو جوابها اليه تشكره فيه لعدوله عن السفر ووعدته بالاجتماع
بي غد وقد جاء ذلك مطابقا لرواية الدكتور صادق التي أخبر بها شقيقي

فما باله من بعد عرف تنكرت خلائقه حتى تغير عهده
كذلك رأيت الدهر أن يصف منهلا تنكر من حوض الحوادث يرده
أقول لقلبي والغرام يقوده وسيف التجني والتمني يقده
اذا لم تدم للروح والجسم صحبه فأي حبيب دائم لك وده

— لا تقنطي ياسيدتي من رحمة الله ولا تيأسي من نوال أمانيك مادمت ومادام
حبيبك عزيز فلا تندفعي مع تيار الغضب ولا تذهب بك الظنون مذاهب التأسي
لحب بغير روية وتدبر فاصبري حتى تتلاقيا في غد وتقصين عليه أمر المكتوب
ولعل له عذرا وأنت تلومين

فما كادت كاليروا تأتي على آخر عبارة حتى طرق الباب طرقات عنيفة صيرته
شطرين وظهر من ورائه شخص والد السيدة ويداه مفلوتتان في عنقه ويصيح بصوت
مختنق متقطع يحبسه الغيظ قائلا لابنته . ماذا جرى ياخائنة . الى أين أذهب بعد
أن غدوت ملطخا بأوضار الفضيحة والعار .. ماذا يكون من أمري لو ذاع الامر
على الملأ — آه يافاجرة . ويل لك ياعاهرة

وبينما هو كذلك اذ حضرت زوجته وابنته الثانية وأخذاه بعد صراخ ولجاج
الى غرفته واجلساه وهو ينتفض ويرتعد ثم تقدمت اليه زوجته وخففت عنه مصيبته
الفجائية وقالت له . لاينفعنا الندم الآن ولكن يلزمنا أن نتحدى بالصبر والحكمة
في أمورنا بمعنى اننا نستحضر كاليرو هنا ونتهددها بأنواع الاذى اذا لم تبح لنا بأسرار
ابنتنا لانها هي خزينة أسرارها ورسولة أخبارها ومتى وقفنا على ما لديها من الامور
نتدبر فيما يلوح لنا بعد ذلك من الشؤون

— آه مافات ليس بعائد وما في زوايا القلب ليس بنافذ . كيف تلومين ابنتك
وكل اللوم يتوجه اليك لتفريطك في الحجر عليها ومراقبة أسيارها في غدوها ورواحها
وكان اللازم أن تمنعي وصول تلك الاجنبية اليها وعدم الاختلاط بها لان مصاحبة
ابنتك لمثل كاليرو ومراعتها لها يعد من ضروب الاستخفاف والتهاون في شؤون

التربية الصحيحة التي تفرضها علينا عاداتنا الشرقية . أنسيت أيتها القرينة الصالحة ان كل قرين بالمقارن يقتدي فلو تخلقت الفتاة الشرقية بأخلاق المرأة الغربية يصير الخدر في نظرها مزدري لا قيمة له البتة وأصبحت تساوم بين الفتيان مساومة السلع في الاسواق وتتطاول اليها أيدي فسدة الاخلاق وتتزاحم حول عفافها الفساق و يكون من وراء هذه المؤلمات ما يروع الافئدة وتتضاءل عنده الاقدار ولكن على رأيك لا يفيدنا الآن سوى ما أشرت عليّ به فيا حضرى كالبروعسي تنفرج بحضورها أزمة الضيق و يطوى سجل العار والفضيحة عندئذ خرجت الوالدة من حضرته وذهبت الى غرفة ابنتها فوجدتها تتلوى في مجلسها كحية أصابتها مؤلمات الموت فأعرضت عنها وأخذت كالبرو من يدها وسارت الى أن وصلت بها أمام زوجها فأوقفتها بين يديه وهي تضطرب وقلبها يضرب ضربات متوالية ، فبادرها بقوله : يا كالبرو لك مني أمان الخائف وحماية الواجف لو كشفت لنا الغطاء عن قلبك لنرى ما فيه من مكنونات الاسرار التى أودعت فيه أمانة لابنتنا وان حاولت الاباء وتحديت بالتمويه علينا فلا مندوحة لنا من تقطيع جسمك أربا في موقفك هذا خصوصا وقد تقوض مجدنا وانهالت عروش عظمتنا من هذه الوصمة القبيحة التي مثلت بعرضنا أقبح تمثيل . واعلمي يا كابرو ان الغرض من معرفة ماجريات هذه الامور هو أن نجتهد في درء العار عنا وازالة ما لحق بنا وليس غرضنا يتعدى ذلك

— (بعد تلعثم في النطق وغمغمة في الموضوع) ان الامر يا سيدي خطير جدا وليس لي فيه جناية ما وما علي لا أن أقص الامر على سيدي وله أن يفعل ما يشاء وهو

قضت سنة الدهر على سيدتي أن علقت بحب أحد الشبان المثرين وهو المدعو عزيز فشغفها جماله وراقها اعتداله وامرتني بأن أحمل اليه رسالة غرام فأجبت طلبها وأديت ما يجب على نحوها وقمت بأداء خدمة غرامها وهيامها الى أن اجتمعت بذلك الشاب وتبادلت معه الحب الذى ظل ينمو بينهما حتى أفضى الى ما ترى وهذا جملة الموضوع يا سيدي

— وفي أي مكان كانا يجتمعان

— في منزل استأجراه بجهة الخرنفش وهناك جرى المقدور عليها وقد سبق الوعد باجتماعهما في غد بذلك المنزل

ــ قد عرفت الحقيقة فاذهبي يا كاليرو وحذار من أباحة هــذه الاسرار في الخارج ولا تخبري سيدتك بما جرى بيننا لآن كي لا تمتنع عن القيام بوفاء لوعدمع عزيز لان في اجتماعهما هذا فائدة ستظهر لك بعد

ــ سمعاً وطاعة . ثم قبلت يده وانصرفت الى غرفة سيدتها فوجــدتها محاطة بنوبات متعددة صرفتها عن الاستفهام منها عما جري لها مع والدتها فتقدمت كاليرو واستأذنتها في الانصراف فأذنت لها على أمل العودة في الصباح

ــ أما والد السيدة فجلس يتناوب الحديث مع زوجته رجاء الوصول الى حيلة تصرف عنها هذه النوائب وتدفع الظنون عن بيتهما الذي أحاط به العار ونهق ابن أدية على خدره فكشف عنه ستار العفاف والصيانة ثم قال لها اني اهتديت لفكر عساه أن يكون حيدا وهو أنك تذهبين في صباح الغد الي بيت عزيز وتذكري الموضوع لوالدته وترافقينها الى منزل الخرنفش حيث تكون ابنتك مع والدها وهناك تتأكد الاسر ان كان ضميرها ينكره و بعد ذلك تتفقا على قرانهما دفعاً لمظنة السوء بالعائلتين وأنا على يقين بأن والدة عزيز لا تأبى الجمع بين الاثنين بعد هذه الفعلة الشنعاء

ــ قد رأيت صوابآ وهذا ما دار بخلدى حين وقفت على حقيقــة الاسر ففي غد ان شاء الله أن يكون ذلك وعلي الله التوفيق

تجاوز عزيز كوبري قصر النيل وظل سائرا في الطريق تقوده الهواجس والافكار وتلعب الظنون والاوهام بفؤاده وكان في كل سيرة طوع قدميه لايدرى أين يقصد حتى نبهته سفينة تمخر عباب البحر وعلي ظهرها فتيات حسان عرف عزيز بأنهن من العائلات الكبرى وكن يتغنين بألحان مطربة شجية تأخذ بالقلوب وتذهب بالعواطف مذاهب شتى تجددت منها شجون عزيز وتركته على شاطئ النيل يذرف الدمع مدرارا و يصلي فؤاده نار ولبث في مكانه و يشيع السفينة بنظراته حتى اختفت في غياية الديجور الذي كان قد نشر اروقته على ربوع النهار فانتقل من هذا المكان واستقام في طريق بولاق الدكرور لخلوه من المارة الى أن تعبت قدماه فجلس تحت شجرة ومكث يخط بعصاه في التراب تارة و يرسل نظره الى النجوم أخرى حتى انقطعت الاقدام وسكنت الطيور في أوكارها فلم يعد يسمع سوى حفيف الاشجار وعويل الذئاب في الحقول فقام من مكانه واستأنف السير في طريق الجبلاية المشهورة رغماً

عن مكاره الظلام الحالك و بينما هو سائر في ذلك الطريق اذ رأى عربة واقفة بالجانب الايسر خالية من السائق فاقترب منها وأطل من نوافذها فلم ير بها أحد ولجم الخيل ملقاة على ظهرها ، لاشتغالها بتناول غذائها فوقف باهتاً من غرابة الامر وأصاغ بأذنيه عساه يسمع صوتاً او يرى شبحا فوصل الى سمعه صوت استعطاف ورجاء وعهد ووفاء وشكوى غرام وعبارات وجد وهيام فيمم ذلك الصوت حتى صار على مقربة من شخصين يتناوبان العتاب ويجددان الوداد بعد الهجر والصد فمد بصره وفتح سمعه فرأى حبيبته تتذلل بين يدي صديقه الذي كان يبدي له النصائح و يقبح سيره وراء غرامه حينما كانت كاليرو بحضرته فلم يقو على احتمال هذا الامر وانقض عليهما انقضاض الذئب على الشاة وصرخ في وجهيهما صرخة دوى منها ذلك الفضاء الفسيح وقبض على عنق صديقه وطرحه على الارض واعتلى صدره واخرج من جيبه غدارة يريد اعدامه بها فأمسكت يده تلك الحبيبة وقبلته بين عينيه رجاء الصفح عنه فقام على قدميه وجسمه يرتعد كالسعفة في الريح وقال لها : تبا لك ياناكثة العهد يا خائنة الود ـ خرجت في هذا الطريق المحفوف بالمكاره طوعا لغرامك واستسلاما لهيامك وقاسيت صنوف الهوان وارتكبت متن الاخطار في سبيل حبك وطرحت رضاء آلي خلف ظهري وقنعت من الدنيا بودك ثم تذهب كل تلك العوامل هباء ـ قاتل الله حب من لم تف بالعهود وتحفظ شرفها المعهود

ثم تركها وانصرف وعاد الى قصره ودخل غرفته وانطرح على سريره بملابسه كأنه في عداد الاموات لايشعر بحالته حتى انبثق الفجر ونبهته الخادمة فاستيقظ وتناول الشاي وارتدى ملابسه واراد الخروج من القصر فاعترضته والدته على السلم ودعته للخلوة معها بضع ثوان لشؤون بينهما فاجاب دعوتها وذهب معها الى الحجرة الخصوصية وما كاد يستقرا حتى دخلت الخادمة واخبرت سيدتها بوجود زائرة تستأذن في الدخول عليها فاذنت لها بذلك بعد أن انصرف ولدها من حضرتها ودخلت الزائرة وهي والدة السيدة فسلمت على والدة عزيز وجلست حتى استراحت وتقدمت اليها تحية القدوم الاعتيادية قامت واقتربت من مقعد ربة القصر وقالت لها : قد جئت اليك ياسيدتي لاقص عليك ما جرى لابنتي مع ولدك عزيز وهو أن عزيزاً شغف حبا بابنتي وهي كذلك أحبته وظلا هكذا على غرامها يجتمعان خلسة كل يوم في منزل استأجراه بجهة الخرنفش

ونحن لا نعلم بالامر الا امس واليوم بعد ان سمعنا اقرار خادمتها كالبيرو وقصت أمام زوجي ما كان تحت ستار الخفاء من الاسرار حتى قالت ان بين عزيز وابنتي ميعاد لقاء في هذا اليوم فان شاءت السيدة تأكيد ذلك ان كانت في ريب مما أقول فلننتظر قليلا حتى تأتي ساعة اللقاء ثم تذهب معي لترى بنظرها ذلك المشهد المريع

لذلك جئت اليك اليوم يا سيدتي لاقص عليك الامر واسألك ستراعلي هذه الفصول المؤلمة للخدر والمفضية للعار والفضيحة ولك الامر من قبل ومن بعد

— اني ايتها السيدة الفاضلة لا أجهل هذه الظروف وقد علمتها تماما ووصلت الى غوامض الاسرار بينهما وطالما دعوت ولدي الى العدول عن هذا الطيش فكان يظهر لي الطاعة تكلفاً ويبدي من الثبات ما يصرف به عني الظنون والاوهام ولكن نفذ سهم القضاء فلا أسف ولا ندم على أن ابحث في طلب عزيز وادعوه الى اقتران ابنتك ولو بعض يوم دفعاً لما عساه يتناقل في البيوت عن بيتكما

وبينما هما في الحديث اذ دخلت عليهما خادمة القصر بدون استئذان تهرول على غير عادتها وقالت لسيدتها ان الزائرة قد توفي زوجها الان فجأة وجاء خصيها يركض ويصيح طالباً سيدته . فلا تسل ايها القارىء عما جرى للزائرة حينما وصل الى سمعها هذا الخبر الفادح فلنترك الى ذكائك تصوير هذا المشهد المريع فقد خرجت السيدة من القصر وهي فاقدة الادراك لاتعرف كيف تتخطى سلم القصر فتارة تسقط وطورا تخونها خطواتها حتى تجاوزت باب القصر وحينما وقع نظرها على الخصي وقعت عليه فرفعها بين يديه وأركبها عربة سارت بها الى القصر فسمعت السيدة صياح الأبناء والخدم فراعها الامر وأفزعها ذلك المنظر المدهش وما كادت تصل الى أعلا القصر حتى صرعتها عوامل الاحزان على الارض وغشيتها نوبة وأخذت بها أخذة رابية

بعد قليل شيعت الجنازة باحتفال يليق بمكانة المرحوم فوورِيت جثته في التراب بعد أسف وحزن شملا جميع القوم لما كان للفقيد من المآثر التي يحفظها الوطن على صفحات تاريخه ثم انقضت أيام الحداد وعادت الحركات الاولى لمنابعها السابقة ودار الاخذ والرد بين العائلتين في شأن القران فلم يتم الاتفاق على شيء لامتناع عزيز عن الاقتران بتلك التي نكثت عهده واخترقت حجب العفاف وتخطت

حدود الامانة فلم يسع والدة السيدة لا ان استحضرت الدكتور صادق وفوضته في طريقة الاجهاض الا أن السيدة لم ترضخ لارادة والدتها وخافت سوء العقبى لظهور الحمل عليها واقتراب ساعه الوضع وصار الاجهاض متعذراً لكونه جاء في غير أوانه اذ أن أيام الحداد ومرور الشهور بين الامل والرجاء في حصول القرآن صرفت الافكار عن عملية الاجهاض في بادئ ظهور الحمل فرأت الوالدة الحنونة أن تسافر بابنتها الى البلاد الاجنبية وهناك يكون الوضع وفي الحال أعدت معدات السفر وقامت في اليوم المقرر الى المحطة ومنها على القطار وكانت وجهتها رودس

نزل عزيز من قصره بعد تلك الصيحات المريعة التي دوي لها القصر وما كاد يصل الى الباب الخارجي حتى نزلت سيدة بديعة تتهادى في خطوتها وترفل في ثياب فاخرة تفوح منها الروائح العطرية فتأملها عزيز فاذا هي ابنة عمه فتبعها وقبض على اطراف ثيابها من الخلف فالتفتت نظرها وحينما رأته أحمر وجهها خجلا وخفق قلبها وخانتها قدماها فلم تستطع الصعود على سلم القصر فادرك عزيز ذلك وأخذ بيدها حتى وصل بها الى قاعة الاستقبال حيث كانت والدته وعندئذ مكث الجميع يتناوبون الحديث في مواضيع شتى وكانت والدة عزيز نبهة الى عدم مكاشفة ابنة عمه بموضوع تلك السيدة وظلوا هكذا حتى قامت والدة عزيز من المجلس لقضاء بعض الشؤون المنزلية فاقترب عزيز من ابنة عمه وقال لها : اني تنازلت عن الرغبة في السفر طوعاً لارادتك ايتها الحبيبة

ــ ما أكثر لفظة الحب في افواه الرجال خصوصاً الشبان منهم وما أقل معناها في نفوسهم . تسمع الفتاة ممن يدعي محبتها مدحا واطراء بل وتشبيبا في محاسنها واخلاقها فتضطر المسكينة حينئذ لمجاراته في تيار عشقه وغرامه وتتمسك بعهوده ووعوده ثم لا تلبث قليلا حتى يهجرها ذلك الحبيب ويجفوها في حين كانت هي تمني نفسها بسعادة مستقبلة وعيش رغيد خصوصاً اذا كان مدعي الحب من ذوي الثروة والجاه . وليت أن الفتيات اللائي يتصدين للعشق ويفتحن قلوبهن لطوارق الهوى يتخيرن حب الفقير لانه أثبت من حب الغني لتعذر حصول الفقير على أحباء كثيرين فحبيبه عنده كل الدنيا لعجزه عن الوصول الى غيره والغني افتر في الحب واحول عنه لاستطاعته استبدال حبيبه بآخر اذا اقتضى أمر . فمحبوب الفتى الغني عرضة الهوان ومحبوب الفقير سلطان . وهناك حالات عديدة ليس هذا محل شرحها وكلها تتمشى

على ناموس واحد فلكل ان يلاحظها ويتخير منهما ما يشاء

— ماذا تعنين بذلك يا ابنة العم . . . أرجوك أن ترفعي ستار التعمية عن حقيقة ماتقصدين من قولك هذا

— (بعد ابتسامة خفيفة) لاتناديني بسوى يا ابنة العم فهو الاليق بنا والاحفظ لكرامتنا لان شرفي بين آلي ومكانتي عند أترابي يمنعاني من أن أكون تلك الحبيبة التي سطيت علي خدرها وعفافها بعد غرام طويل وهيام صرفك عن كل مصلحة ثم تنازلت عن حبها وأبيت القران بها وتركتها الآن تندب عرضها وتبكي صيانتها بين قومها

— (بعد أطراق طويل رفع رأسه والعرق يحدر من جبينه ومن الذي حمل اليك أخبار غرامي هذا . . .

— جارية كانت في قصر حبيبتك وخرجت منه ودخلت في خدمتنا ومع ذلك فان سيرة البغي يا ابن العم لا بد من اذاعتها مهما أسدل عليها من سجف الخفاء

— أنا لست من أولئك الشبان الذين لايحرصون على الكرامة ولايحفظون شرف النفس ويتهورون في أسيارهم وانما سلبتني حفظ العهد والاقامة على الجد لأميل للخيانة كما لا تفارقني الغيرة التي يأبي معها العاشق أن يميل حبيبه الى سواه ولاشئ انكى عندي مثل ذلك بل هو أصعب الامور لدى وقد يفتخر بعض العشاق بسبب الغيرة أويجنون أو يسقمون . وقد تبلغ غيرة بعضهم أن يكبر عليه أن تميل حبيبته الي غيره بعد مماته . فقد حكي عن أحدهم أنه طلب الى عشيقته وهو يحتضر أن يقبلها قبلة لوداع فعضها ليشوه وجهها حتى لايعشقها أحد بعد مماته . ويقال أن الغيره يا ابنة العم ملح العشق فاذا تجاوزت حدها اصبحت مكروهة وربما انقلبت الى عداء والغيرة أفضل العشق وأوضح اماراته ومن الواجب في شرع الهوى أن يقتصر العاشق على عشق حبيبه فقط لان الغيور الذي يكره ان يميل حبيبه الى سواه لايميل هو الى غيره ولا يشذ عن هذا المبدأ الاالشره وعشق الشره اقرب الى البهيمة منه الى الانسانية . وأنا قد تمشيت على سنن الوفاء في الحب مع تلك السيدة وحرصت على مبادىء الطهارة والعفاف معها الى أن جرى المقدر بيننا فقضى المسطور علينا ولا ذنب لي في كل ماجرى وانما هي التي دفعها صغر نفسها الى التفريط في صيانتها لنمو فواعل الشهوة في ضميرها وكنت لا أقرأ المسطور في صحيفة نواياها لجهالة الحب

الشديد بيني وبينه . وبالرغم مما جرى كنت لا أفكر في هجرها ولا أتمنى غير القران بها دفعا لآلام القيل والقال ودرأ لما عساه أن يكون في الحال والاستقبال الى ان رأيتها مع شاب كان يدعي صداقتي ويتصدى لنصحي ورشادي ويدعوني للاقلاع عن غرامي وكان ذلك بينما كنت سائرا في طريق الجبلاية ليلة أمس صرفا لافكاري ودفعا لهواجسي فألفيتها تتذلل بين يديه وتستعطفه وترجوه العفو عن فرطاتها السابقة وماكدت أرى هذا المشهد المريع حتى اندفعت بجسمي عليهما واعتليت صدر ذلك الصديق الخائن وجاء اعدامه بغداري فقبضت تلك العاهرة على يدي فقمت وتركت موقفهما بعد أن رأيت الحكمة الزم وأولى في هذه الظروف التي ارخى فيها الليل حجابه الكثيف على الارض وقلت في نفسي ان ما لحقها من العار قليل في جانب فجورها هذا ومن ثمت القيت حبل غرامها على غاربها خصوصا وقد تنازلت عن القران بها مع كثرة الحاح والدتها وترددها غير مرة علي والدتي . افبعد ذلك ترى ابنة العم أني أستحق في نظرها مارمتني به الآن وأنا أبرأ الى الله من تلك الوصمات المشينة .؟ .

— قاتل الله الهوى فانه يقتاد العواطف الى مهاو سحيقة يذبح فيها العفاف بمدية الفسق والفجور ويراق على جوانبها ماء الحياء من غير وعي ولا شعور فدعنا من ذكر هذه المؤلمات المحزنات ودعني اقول لك منذ الان (ياحبيبي) خلا قلبك من حبيب آخر غيري

— شكرا لك يامالكة الفؤاد وحبيبة الروح وأني أقسم بشرفك الطاهر وهذا قسم عندي عظيم اني تمنيت لو رأيتك البارحة وأنا في غيابة الهموم فلثمت أذيالك وأنثنيت على قدميك لأقبلهما حبا في عفافك وحسن آدابك بعدان شاهدت من تلك الخائنة ماشاهدت فمدي الى يدك لنتعاهد على الوفاء مادامت الارض والسماء

— هاهي يدي فتناولها عزيز وقبلها ظاهرا لبطن وقال لها : كفى كفى ياحبيبتي فان هذا هو أعظم العهود واكبر المواثيق

عندئذ احمرت وجنتاها فازداد وجهها جمالا وأشرق نورا وسجد قلبها لعزيز كما عبدها نظره وامتدت كهربائية الحب الى القلبين فجذبتهما بتيارها القوي فاتحدا وارتبطا برباط الغرام المتين الذي لاتفصم عراه مادامت القلوب وبقي الحب والمحبوب وفي الاثناء دخلت عليهما والدة عزيز فألفتهما يتبادلان النظرات من غير نطق كأن

كل منهما يصور الاخر في مرآة فكره فلما رأياها تنحيالها عن مجلسها وتقدمت اليها حبيبة عزيز واستأذنتها في الذهاب الى قصرها فأذنت لها بعد الوعد منها باستئناف الزيارة في فرصة اخرى ثم ودعت حبيبها بنظرات بعثت في جسمه حياة جديدة ونزلت من القصر يتبعها خصيها

أما عزيز فقد جلس بجانب والدته ولبث يتحادث معها في شأن حبيبته الاولى وظلت والدته ترسل اليه سهام التعنيف وتؤلمه بموجعات الكلام لتخطيه حدود الاعتدال والحكمة في جميع أسيارة واقترافه آثام الفجور والفسق مع تلك التي سلمته نفسها فسطا عليها سطوة الذئب لا يلوي على فضيلة عنانا — الى ان قالت له : طالما نبهتك ياعزيز الى رعونتك وطيشك ودعوتك الى العدول عن حبك الذى سلب منك الحجي وأوردك موارد التلف ودفع ذات الخدر الى ارتكاب عار لا ينمحي الى الابد . فما كان اغناك عن ذلك كله لو فقهت نصحي ووعيت ارشادي وتحديت بالاستقامة في احوالك واطوارك ولكن تباً لفواعل الشبيبة ما أضرها بعقول الشبان الذين يسرحون مسارح الجهالة من غير حسبان للعاقبة

— لا لوم علي ياوالدتي وانما اللوم على تلك التي تنتصرين لها لكونها فرطت في نفسها لغيري في حين كنت افكر في الاقتران بها

— لا بل كل اللوم يتوجه الى شخصك الخبيث لكونك فتحت لها ابواب الفجور وهونت عليها ارتكاب الفحش بكامل انواعه

— دعينا ياأماه من ذكر تلك الشجون التي تكيفت بشؤون متعددة لا يحتمل الفؤاد عادة شرحها لاشتمالها على جوائح شتى تنقض على الضمير فتذهب بصفائه وتهيج البلبال في جميع الاحوال — فاسمحي لي الآن بالخلوة قليلا لاستريح من عناء هذه الاكدار التي احاطت بأجزاء جسمي احاطة الامراض بالاعصاب

— لك ماتريد والله يهديك الى السير الحميد

قصد عزيز غرفته وسلم جسمه للفراش وهو تائه في بيداء ذلك الغرام الحديث الذى يربع على قلبه وتمكن من فؤاده وقبض على قواه العقلية بيد قاسية وظل هكذا تتقاذفه أمواج الهيام ويلعب به تيار الوجد الى ان سبح في سبات عميق

اما والدته فأنها قامت تتنقل بعض خطوات في وسط القاعة وبينا هي في الجيئة

والذهاب اذ وقع نظرها على مظروف ملقى على الارض فتناولته فوجدت عنوانه باسم حبيبة ولدها التي كانت بحضرتها في تلك الساعة ففضت غلافه بحركة سريعة وقرأت ما يأتي

عديلة الروح سالبة رقادي ومالكة قيادي

وقاك الله من الحب وأحواله . وحماك من الوجد واهواله . أما آن لك يا من عشقتها قبل العين (والاذن تعشق قبل العين أحيانا) أن تسمحي بشبه انعطاف على صريع حبك . . أرق وسهاد . وذل وبعاد . وهجر وصد . ولا أخذ ولا رد . كفى كفى — حنانا وعطفا ورحمة ورفقا . ماذا عليك لو تفضلت بنظرة تعيد الى محبك قواه . وترد اليه عقله ونهاه رفقا . رفقا . فحسبك الله واعلمي بأن العشق بلغ اقصاه . والوجد وصل الى منتهاه . فلم يبق في جسمي رمق . ولا في نفسي خلق . وعلى كل حال . انت صاحبة الامر في الحال والاستقبال . فاما نعم مثمره . واما . لا . مهلكه والسلام .

ثم يتبع ذلك الجواب الحاشية الآتية اجابة عليه من السيدة (خليل)

الى المغرور في اوهامه . والتائه في غرامه

عرفتك طائش الفكر قليل الادراك فاقد الاحساس والشعور . لا ضمير لك يردعك عن مصادرة ربات الحجال ولا شرف عندك يدعوك لأشرف الخصال ما بالك تصديت لما لا يعنيك . واعتمدت على مالا يغنيك . أجهلت أيها المغرور قدر من تكتب اليها وتتذلل لديها . . ام نسيت واجب الخدر والصيانة وعميت عن شروط العفة والامانة . فاتئد قليلا ولا تأخذك أخذات الطيش والرعونة واصرف نظرك عني الى من تكون أهلا لك وطوعاً لاميالك الخبيثة والسلام ولا سلام . الامضاء

(على غير ما تظن)

أتمت والدة عزيز تلاوة هذا الجواب ووقفت في مكانها لا تتحرك وطاب هكذا حتى نبهها عزيز بوقع أقدامه فالتفتت نحوه وحاولت اخفاء الجواب خلف ظهرها فاختطفه من يدها وانزوى في زاوية الغرفة وفي الحال عرف ما فيه وما كاد يأتي على آخر عبارة منه حتى صاح قائلا باللغة الافرنسية (فلتعش الحبيبة) ثم تقدم لوالدته وقال لها : ان دماء الابرياء يا أماه أبخس ثمن للعفاف والصيانة ومهما حاول الانسان تقدير قيمة التي تعرف مزية الطهارة والامانة حق قدرها فلا يستطيع ذلك لان حفظ العهد والشرف من أشرف المبادئ في الدنيا والآخرة . وابنة عمي

قامت باحياء سنة الفضيلة بين أترابها وحق لها أن تفتخر بعفافها على جميع نساء هذا العصر وترجم ذلك الشيطان الذي يدعوها لمتابعة سيره و يستميلها للتخلي عن خدرها والانقياد لاغراضه السيئة بشهاب اللوم والتعنيف

— نعم يابني أن ابنة عمك حفظت دروس الحياة الصحيحة في مدرستها الاولى بين عائلتها وعرفت ما يلزم لها وما يجب عليها من الشؤون التي يفرضها الوجود على مثيلاتها ممن يرون أنهن سيصرن أمهات أولاد في المستقبل وليست كتلك الفتاة التي هتكت خدرها وثلمت شرفها وانقادت لأميالها الخبيثة فباعت عفافها بقبلة وغمزة وتنازلت عن طهارتها بثمن نعل وكانت نتيجة ذلك فضيحة بيتها وموت والدها على حين فجأة تلقاء هذا العار المؤلم لعواطف العقلاء . فاهنأ يا بني بهذه الفتاة الشريفة وانصرف عني الآن حتى أبعث خطاباً لأخيها في البلاد الاجنبية أدعوه فيه للحضور هنا ليتم زفافك عليها في القريب العاجل

— الف شكر يا أماه فلا عدمت نصحك وارشادك . ثم تركها وخرج من القصر وجعل وجهة سيره تلك الحديقة الغناء الواسعة التي تتصل اطرافها بالنيل من الجهة الشمالية بشبرا وحينما صار على مقربة منها رأى كاليرو تركض نحوه مسرعة فوقف حتى اقتربت منه فحياها ببشاشة قائلا لها : من أين جئت والى أين تقصدين يا كاليرو وما الذي اضطرك للاسراع في السير ...... — جئتك من سباء بنباء يقين وعهدي بسيدي أن لا يظن السوء بي بعد الذي مضى ولا يدخل قلبه الريب في رواياتي التي أنقلها اليه — لا شك في صدق روايتك يا كاليرو ولا أنسى همتك في استقصاء الاخبار والتنقيب وراء الحوادث والاسرار

— بارك الله فيك يا سيدي واعلم بأني كنت أقصد قصرك في سيري هذا لاقص عليك حادثة جديدة وهي أن ابنة عمك رأيتها في هذه الساعة خلف سور هذه الحديقة تتبادل الحديث مع شاب جميل الطلعة رشيق القوام ومعها خادمتها ترقب الرقباء من زاوية ذلك البناء القائم هناك فعجل يا سيدي باكتشاف هذه المناظر قبل أن يسدل الستار عليها ويفترقا عن بعضهما فيدخل قلبك الشك في روايتي. وحظي من ذلك أن لا تتورط في غرام ابنة عمك قبل الوثوق من عفافها ولك في حب تلك التي سلمت قياد أمانتها لجميع الفتيان تذكرة وعبرة يوقظان ضميرك الى

الحذر من مصارع هذه الشهوات المرذولة في نظر الكافة — صه يا كاليرو فان ابنة عمي هي عنوان الطهارة وبيت قصيد الحذر والامانة فلا تتخطى حدود شرفها المعهود — ليس الخبر كالعيان وأنا لا أتكلم الا بالبرهان فهيا لتأ كد الامر ونقف على السر . فما كادت تأتي على آخر كلمة حتى هرول عزيز نحو الحديقة وأرسل نظره خلف زاويتها فرأى خادمة ابنة عمه تستنجده على بعد باشارة اللهف والاضطراب فذهب اليها وحينما اقترب منها جاءته مسرعة وسقطت بين يديه فرفعها وسألها عما اعترضها فقالت له : ان شاباً يدعي خليل اعترض سيدتي في طريقها هذا أثناء تنزهها ولبث ينازعها و يسألها الفحشاء وهي تستعطفه تارة وتعنفه طور الى ان ضاق الخناق و بلغت الروح التراق فوقفت في زاوية هذه الحديقة لعلي أرى من ينقذها من مخالب هذا الجبان الخائن فلم أجد سواك وأنت تحادث مع تلك الاجنبية لا تنظر لاشاراتي ولا تلتفت نحوي — فالدراك الدراك يا سيدي قبل تفاقم الخطب واتساع الخرق — عندئذ اضطرب فؤاد عزيز وهاج دم الانتقام في شرايينه وقصد ذلك الموقف فرأى ابنة عمه تتذلل بين يدي شاب لا يرحم وتذل قد قلبه من حجر فاقترب من مكانهما وهما لا ينظرانه لزوال النهار ودخول الليل وانزوى خلف شجرة ليسمع باذنيه ما يدور بينهما ولكنه رأى هجوم الشاب على ابنة عمه كالذئب الخاطف يريد اغتصابها فانقض عليه وجذبه من عنقه وألقاه على الارض وخلع نعليه وظل يضربه بهما على رأسه حتى خمدت أنفاسه وانقطع صوته ثم تركه يتخبط في التراب ويتقلب على شوك القتاد وأخذ ابنة عمه من يدها وهي غائبة عن الوجود لا تشعر بحالتها وتنتفض كعصفورة بللها القطر من هول ذلك الموقف فظل يخفف عنها مصابها حتى سكن اضطرابها وهدأ روعها وترامت على قدميه لتقبلها شكرا له على هذه العناية فتناول يدها وقبلها بعد أن عرف منها أن ذلك الشاب هو صاحب المكتوب الذي بعثه اليها وعثرت عليه والدته ولم يتيسر لها اعادته اليه لشواغل الزيارة العائلية التي تقدم ذكرها ولبثا يتبادلان في الطريق حتى وصلا لقصر السيدة فودعها وانصرف عنها

الفصل السابع

وصلت السيدة ووالدتها الى رودس وهناك استأجرا محلا فسيحاً يمر من تحته نهرا تمخر فيه السفن ذهاباً و إياباً واستحضرا ما يلزم من الخدم لقضاء حاجاتهما من

أسواق تلك الجزيرة وظلا هكذا بضع يوم حتى جاء وقت الوضع وآلمت السيدة آلامه الشديدة التي لبثت تنازعها ثلاثة أيام توافدت فيها الحكماء وتناوبت عليها العمليات المختلفة حتى تم الوضع وانصرف الجمع فلم يبق الا والدة السيدة وخادمة صغرى أشغلتها الوالدة ببعض الشؤون و بعد أن مضي نحو العشرة أيام أخذت والدة السيدة تلك المولودة على يديها وهي في قماطه وأسرعت نحو نافذة مطلة على البحر فألقتها منها بينما كانت ابنتها في غفوة النوم لا تشعر بشيء وعادت الى الخدم في الطبقة السفلى من المنزل تستنهض همتهم في تسوية مايلزم لطعام ابنتها وأمرت الخادمة الكبرى بالخروج من المنزل والاجتهاد في البحث على منزل آخر غير الذي هم فيه لشدة عواصفه وكثرة رطوبته مما لا يوافق حالة الوضع فأجابت أمرها وخرجت و بعد ثوان قليلة تقدمت المائدة وانتبهت السيدة فتناولت بعض الشيء منها وسألت عن المولودة فقالت لها والدتها اني قد سلمتها لامرأة ترضعها بأجر اتفقت معها عليه وقد بعثت خادمتنا الكبرى داخل الجزيرة لتبحث لنا على منزل غير هذا يليق بصحتك الحاضرة ويدفع عنك شرور الآلام التي تتهدد حياتك بكثرة الهواء هنا — كانت ابنتها تسمع منها هذا الكلام وهي في غيابة النوم الا أنها كانت تتغزز من بعض نوب كانت توخز جانبها أحيانا ولبثت هكذا حتى نبهتها والدتها الى مائدة أخرى عليها طعام آخر يخفف عنها آلامها فقامت واتكات على ذراع والدتها وتناولت بعض الشيء من ذلك الطعام السائل . وفي الاثناء دخلت عليها الخادمة الكبرى وقالت لسيدتها : انني قد وجدت منزلا في وسط دائرة البلدة يلائم صحة سيدتي فان شاءت مولاتي فلتذهب معي الآن لتنظره — عندئذ قامت الوالدة وأمرت الخدم بنقل الامتعة على عربة جاءت على عجل وركبت مع ابنتها بعد التحفظ عليها من العوارض الجوية وكانت قد أخبرتها بأن المولوده مع احدى الخدم في عربة أخرى وفي الحال نزل الجميع في ذلك المنزل فوجدوه بديع الترتيب لا يحتاج لاتقان وصاحبته سيدة تركية قابلتهما بوجه مستبشر ضاحك وما كاد يستقر قدم السيدة حتى سألت عن فتاتها ورغبت بالحاح ضرورة رؤيتها فتقدمت والدتها اليها على انفراد وقالت لها : لا تذكري تلك المولودة مرة أخرى فقد طرحتها اليوم من نافذة المنزل الذي كنا به لنستريح من أوصابها التي نكبنا بها ولنكتفي شر وجودها عندنا وضير تربيتها بيننا فاطرحي الهموم عن كاهلك

وانتبهي من غفوتك ولا تدبري الا في شأن صحتك حتى نعود الى ديارنا وندفع الظنون عنا قبل أن تندلع نيرانها فنبوء بالعار والفضيحة وكفي يا ابنتي ما مضى

فما جاءت هذه على آخر عبارة حتى فزعت السيدة فزعاً شديداً وصاحت بعبارات مؤلمة هلعت منها قلوب الخدم فقامت والدتها وأغلقت نوافذ المكان وأبوابه وأخذت تصرف عوامل الحزن عن ابنتها ولكن أنى لها ذلك وهي كأنما قد مسها طائف من الجن فانها أخذت تدور حول المكان وتضرب بقدميها كل ما ألفته في جوانبه من الاشياء النفيسة ووالدتها تدور خلفها وتجتهد في تهدئة روعها الى أن عيل صبرها ونفدت قواها فألقت بنفسها على متكأ تدور دوائر المتاعب حولها وظلت ابنتها في هياجها حتى سقطت على الارض بعد أن تمزقت ملابسها وأصيب جسدها بجروح شديدة من شظايا الاخشاب التي كانت تتناثر من الدواليب والاواني المكسورة ولبثت هي ووالدتها على هذا الحال في ذلك المكان لا يشعران بشيء حتى دخلت الخدم عليهما بعد أن كسروا الباب من شدة الرعب والخوف رجاء معرفتهم أسباب هذا الهياج فارتاعوا من هول ما رأوه وبينما هم يتساءلون مع بعضهم عن الدواعي والمقتضيات التي ترتبت عليها هذه المناظر المروعة سمعوا طرقات عنيفة على باب المنزل فانزعجوا من ذلك ونزل خادم الباب وكان زنجي اللون صغير السن ففتح للطارق فرآه من عمال السفن يحمل على يديه تلك المولودة وقال للخادم ان هذه المولودة سقطت من نافذة منزل على سطح سفينتنا في صباح اليوم وقدر الله أن سقوطها جاء على حطب الارز الذي كان فوقها فأسرع رئيس السفينة وحملها على يديه وكان بوده أن يخبر رجال الشرطة بذلك ولكن علم من مجاوري المنزل أن سيدة مصرية تسكن فيه فأمرني بأن أحملها على يد الحنان اليها رجاء (بقشيش) البشرى لنجاة هذه المولودة فأخذتها بين يدي وقصدت ذلك المنزل والفرح يدفعني بقوة الى أن صرت على بابه وطرقت مراراً فلا من يسمع أو يجيب حتى قيل لي من بعض القوم أن سكانه نقلوا أمتعتهم اليوم الى منزل آخر وهو هذا الذي جئت اليه ـ فخذ هذه المولودة و بلغ السيدة تهنئتي اياها على سلامتها

حمل الخادم تلك المولودة وصعد على سلم المنزل وهو يصيح بسرور وفرح وما كاد يقترب من المكان حتى انتبهت السيدة ورأت هذا المشهد العجيب فقامت وانطرحت على الخادم والمولودة وضمتها بين ذراعيها وفي الحال قامت والدتها من غفوتها ونظرت

المولودة تصيح بين ذراعي والدتها فعضت على أصابعها ندما وحسرة ودقت حلقات قلبها ومرت على فكرها سحابة كثيفة من الهموم صرفته عن تلك الفصول العجيبة المدهشة

أما السيدة فان رؤية فتاتها أعادت اليها نهاها واستردت شعورها وقواها وكشفت عن وجهها فألفتها تبرق أسرتها وتمتص أناملها من كثرة الظمأ فأخذت تغذيها ببعض المستحضرات الصناعية لفقدان لبن الرضاعة من ثديها بعد أن بعثت للرجل الذي أحضرها ما أرضاه وأغناه ولبثت هكذا تتأمل في صورتها تارة وتهش وتبش في وجهها اخرى حنانا وعطفا حتى قالت لها والدتها : ماذا يكون من أمرنا بعد عودتنا الى ديارنا بهذه المولودة يافاجرة وماذا تقول لكل من رآها وسألنا عن أصلها وفصلها . . . . . .

— لاتذهبي في رأيك يا أماه مذاهب القسوة والشطط واعلمي بأن طرق التعمية والتمويه على العقول كثيرة لا تعزب عن مدارك العقلاء واني عقدت النية على أن نسلم المولودة الى كالبيرو لتقوم بتربيتها تحت رعايتنا نظير أجر ننقدها اياها في نهاية كل شهر والله يستر الأمر ويحجب السر — افعلي ما تشائين ولنا الله في عماية أبصار الذين يتطلعون بنظرهم اليناو يرقبون فضيحتنا بقالهم وقيلهم . فيا استعدي الآن لنرحل من هذه الديار في الباخرة التي ستبرح من الميناء في مساء غد والله يفعل بامره ما يشاء

عندئذ قامت والدة الفتاة وأخذت في تهيئة شؤونها الخصوصية وكذلك والدتها الى أن حان وقت السفر فركبا الباخرة التي اقلعت بهما الى مصر

ترك عزيز حبيبته فدخلت الى قصرها بعد ذلك المشهد المريع وقصد داره الواسعة كما علم القارئ . أما صديقة الذي خان وده وصرعه على الارض جزاء تعديه على حرمات الخدر والعفاف وتخطيه حدود الامانة والصيانة مع تلك السيدة الطاهرة فانه قام من مرقده ينفض التراب عن رأسه و يتعثر في أذياله و يقرض على أنيابه تارة و يعض على أصابعه أخرى وسار في طريقه يفكر في حيلة يأخذ بها ثاره من هذين العاشقين وينتصر بعواملها على نواياه الخبيثة وظل يطرق بكفه على جبينه كأنه يستخرج التدبير من مكنوناته قسراً الى أن وقف عن سيره وطرق بكفيه على فخذيه اشارة الانتصار ثم استقام في طريقه يتهادى خيلاء وعجبا حتى وصل الى ناد عمومي في منتصف العاصمة فجلس عليه وتناول بعض المرطبات وقال يخاطب نفسه : سأبعث الى حبيبة عزيز تلغراف سوء بامضاء حبيبها أبث لها فيه عبارات كلها عبرات تدمي فؤادها وتدوي

بصفائها الى العدم وأبعث أيضاً مثله الى عزيز — وحينئذ صاح على خادم تلك النادي وامر باحضار قرطاس وقلم فاحضرله ماطلب وفي الحال كتب ما يأتي

. . . . بشبرا بمنزل . . . . . نمرة . . . . .

ياحبيبتي أكتب هذا بقلم الوداع وأنا في محطة العاصمة وتذكرة السفر بيدي والقطار ينتظرني على أمل السفر الى مرسيليا لمهمة دعاني اليها ابن العم الاكبر الذي أرسل معي أحد كبار حاشيته للوداع وهذا حال بيني و بين أن أضع يدي في يدك وأقبلك قبلة الوداع . فان شاءت الحبيبة أداء واجب الحب ومساعدتي على قضاء مهمة العاليـة بوجودها أمام ناظري كما هي في قلبي فلتحضر على أثري رجاء تسهيل السير على حبيبها . واعلمي أيتها الحبيبة أن انتصاري في رحلتي لا يكون أبدا الا اذا رأيت شخصك أمامي وكفاك مني هذا التلميح وذكاؤك لا يحتاج الى التصريح

والسلام عليك مادمت على عهد حبيبك   الوامق الولهان عزيز

ثم تناول ورقة أخرى وكتب فيها أيضا ما يأتي تلغرافيا حبيبي عزيز . . . . .

كتابي هذا ينوب عني في لثم وجنتيك و يستمحيك العفو عن قصوري في وداعك الذي حرمني من أداء فرائضـه عامل قوي وهو مصاب أخي في باريس بمرض قاتل وضرورة سفر والدتي على قطار الليل فلم أتمكن من لقياك ولم أر حيلة غير أن أبعث اليك بهذه الاشارة البرقية فان كنت على عهدي فدعني أراك هناك لتشاركني في سرائي وضرائي   (الامضاء) ابنة العم

كتب ذلك الصديق الخائن هذين التلغرافين وقام الى منزله يهنئ نفسه بهذا الفوز المبين و يضحك عن سن الاستخفاف بغرام العاشقين و يعجب من براعته في الدهاء والحيلة وصلت الاشارة التلغرافية الاولي الي حبيبة عزيز وكانت حينئذ تتقلب علي فراشها من آلام ألمت بها من هول ما رأت في تلك الليلة المنحوسة ففضتها وماجاءت على آخرها حتي عراها الفزع الاكبر وتبلبل بالها واشتدهولها وانتابتها عوارض جة أقامتها وأقعدتها فدخلت عليها والدتها وهي علي هذا الحال فراعها الامر وسألتها عن مصابها الجديد فقالت لها : اني يا أماه نمت زهاء ساعتين نوماً كثير الخيالات شديد الاضطراب وقد أخذتني رجفة وخفقان وأغمي على فلم أشعر بنفسي الا هذه الساعة فاعلمي ياوالدتي اني سئمت على هذا الحال وليس لي الا السفر خارج هذه الديار

ترويحاً لنفسي من عناء هذه الاوصاب وقد عولت على زيارة مرسيليا والاقامة بها بضعة أيام ثم أعود ورأيت أن أصطحب بالخصي يا قوت في رحلتي لاني أعلم يقيناً عدم اقتدارك على عدم مرافقتي في هذه السفرة وأرجو أن لا تقف والدتي دون رغائبي وتحول بيني وبينها بعد ما علمت ان رحلتي هذه ستكون في مدينة عهدتها من قبل واختبرت مواقعها وسلكت جميع ربوعها فلا خوف على حينئذ من وراء هذا العزم

— ماذا تقولين يا ابنتي وكيف أسلم قيادك لاميالك البعيدة عن الصواب والحكمة .. كنت قبل الآن تسافرين الي تلك المدينة وغيرها من مدن أوروبا مع والدك المرحوم وكنا لا نعرف سبيلا نسلكه الا برأيه وفكره . أما اليوم فغير الامس والدهر قلب لا يلوى علي حالة عنانا ولا يحترم في صروفه انسانا . فدعي عنك هذه الاوهام وحولي عزمك الى جهة أخرى من جهات مصرنا التى قلما يوجد في أوروبا مثلها . فعندنا حلوان والعباسية والاسكندرية وغيرها من البلاد كثير

— لا . لا — بالله عليك يا أماه لا تثنى عزيمتى ولا تصديننى عن رغبتى وأسألك بحق بنوتي عليك وحنانك على أن تسمحي لى بهذه الامنية فقلبي لا يروم سواها وصحتي لا تسأل الاها

— عجيب عزمك هذا يا ابنتي . فافعلي ما يروق لنفسك وعليك أن تتشدى في رأيك وعملك وها أنا أطلقت لك السراح وأوسعت لغرضك المراح وان أبيت الا السفر فيكون ذلك في الاسبوع المقبل لاعداد ما يلزم لك في هذه الرحلة

— بورك فيك يا أماه ولا عدمت عطفك على مدي الحياة

وصلت الاشارة البرقية الثانية الي عزيز فذهب رشده عند تلاوتها وقام من فوره بعد استئذان والدته التي سألته التأني في الامر فلم يشأ الا ابرامه وقصد المحطة ومنها ركب على اكسبريس المساء ولم يمض يوم وليلة حتى صار على ظهر الباخرة التي وصلت به الي باريس وهناك نزل في احدي النزل ومن ثم أخذ في البحث عن مكان ابن العم فلم يهتدى اليه وقيل له من بعض تلامذة مدرسته أنه سافر منذ يومين الى مصر بعد اداء الامتحان العمومي الذى نال فيه الشهادة العظمي

وقف عزيز في متصف باريس يروغ بنظره في الذاهب والآيب عساه يقف

على خيال حبيبته أو يعثر على خبر من اخبارها ولكن عبثاً حاول فذهب الى اسكلة المدينة واستخبر من أوراقها عن الذين حضروا من الخارج فلم يراسم حبيبته الا أنه علم منها بسفر شقيقها الى عاصمة بلاده فأخذه العجب من تصرفات الاقدار وحاول الوقوف على اكتناه هذه الاسرار فلم يهتد لسبر اغوارها ولا اكتشاف أسرارها فحوقل واستعاذ بالله من أهوال الظروف ومماكسة الصروف لامياله ورغائبه ولم ير بعدئذ غير العودة الى بلاده فعاد كاسف البال مشتت البلبال

قامت الباخرة تشق بقوتها عباب البحر وتقاوم أمواج الماء وبينما هو في خلوته يناجي ضميره ويذهب بأفكاره مذاهب شتى سمع قصف الرعود ودوى الاصوات في الباخرة فخرج من غرفته يتساءل عن الخبر فقيل له (بالخطر) ورأى ربان الباخرة وعمالها في هياج واضطراب وتوقع موت وعذاب فوقف في مكانه مستسلما لما قضاه الله ورفع رأسه الى السماء قائلا: رفقاً يا الله بحالي ورحمة بشبابي. سأذهب الى الدار الآخرة وأدرج في درج العهد والامانة فاتبعيني أيتها الحبيبة واسلكي هذا الطريق لنتلاقيا هناك في ذلك الرمس المظلم كما سلكت طرق المكاره طوعاً لاشارتك وانقياداً لداعي حبك. سلام على الحب . سلام من القلب الى القلب

ماكاد ينتهي من هذه الهواجس المفزعة حتى سكنت عواصف الريح وهدأ روع ركاب الباخرة وعاد لهم أمل النجاة وفي الاثناء سمع القول نداء ربان الباخرة يدعوهم الى الاخذ بيد ركاب باخرة أخرى على وشك العدم تتلاعب بها الامواج وتنساب المياه في عرصاتها فرغب الجميع انقاذها وتحولت باخرتهم الى مكانها وفي الحال نزلت الركاب على قوارب صغيرة (فلوكه) وأخذوا في مساعدة الغرقى على النجاة وكان عزيز أول من انتشل فتاة عذراء يتدفق الماء من فمها وكان الموت يتهددها لولا أن أدركها بالدواء واجتهد في تخفيف لوعتها حتى سكنت وعادت اليها الحركة بعد العدم ثم تفقدها بعد أن ارتد اليها عقلها وسرى دم الجمال في وجهها فاذا هي حبيبته التي ركبت متن الاخطار طوعاً لغرامها وامتثالا لهيامها

نترك تصوير هذا المشهد العجيب لفطنة القارئ اللبيب ونذهب به الى ما كان من عزيز وحبيبته بعد هذا اللقاء المدهش فانهما مكثا يتناوبان الحديث في كل الشؤون التي ذهبت بهما الى هذا الشجون وعلما أن هذه الحيلة هي من تدبير ذلك الخائن

الذى كان يراود ابنة العم عن نفسها في غلس اليوم المشهود الذى كانت نتيجته كل هذه المصائب والاهوال

عاد الى مصر واجتمع كل بآله وقص جميع أحواله والتقى عزيز بابن عمه واتفقا على اقامة الفرح وتبديد غياهب الاتراح وأقيمت معالم الزينات واجتمعت الجماعات وقضى الامر وفاز عزيز برغائبه وأمانيه وسكنت الافكار في دياجي الاسحار وظل الحبيب مع حبيبته ليل نهار

وصلت والدة الفتاة مع والدتها الى مصر وسلما المولودة الى كاليرو وبعد شروط افترضاها عليها وقررا لها مرتبا تتقاضاه منها نظير تربيتها والقيام بشؤونها وظل الحال على هذا المنوال الى ان جاءت الخاطبات فخطبن والدة الفتاة الى رجل من أعاظم رجال مصر علماً وجاهاً على غير علم بما جرى لاستتاره تحت طيان الخفاء والكتمان فتم الامر واقترنت

تحرش الطرف بين الجد واللعب	أفنى المدامع بين الحزن والكدر
الى متى أنا ادعو كل مقـترب	داني المزار وابكي كل مغـترب
وكم اردد في أرض الحي قـدمي	تردد بين الشك الصدق والكذب
لو أنكرتني بيوت الحي لاعترفت	مواطئ العيس منى وطنها لك بي
كأنني لم أعرس في مضاربها	ولم أحـط بها رحـلى ولا قتبي
ولم أغازل فتاة الحي مائسة	ياحسن معنى الرضا في صورة الغضب
تبدي النفار دلالا وهي آنسة	في روضها بين الحلي والذهب
ليت الليـالى التي ولت كدورتها	ان لم تعد هبة اللذات لم تهب
ما بالهـا غلبت حزني على فرحي	وألقت الجـد بين النجاح والطلب
ما اختص بي حادث منها فأغبنها	كذاك شيمتك في كل ذي أرب
وقائل والرزايا قـد أحطت بها	طوع الصروف بجد غير ذى لعب
حتى م تنضي وتفني الهم قلت له	نيل الرغائب موقوف على النصب

دخلت والدة الفتاة على قرينها العظيم وأنضت عن أفكارها هواجس الماضي وطرحت عن كاهلها هموم الحال والاستقبال فلم يعد ثمت ما يغير صفاء عيشها أو يشغل بالها ولا عمل لها فى قصرها سوى تزجيج الحواجب وتكحيل العيون والتزين بأفخر الملابس وأثمن الحلي رجاء استمالة زوجها المحبوب لديها الا أنها كانت تختلس

الوقت في زيارة فتاتها عند كاليرو وظلت هكذا ناعمة البال مطمئنة الخاطر الى أن مضى على هذه الفصول نحو ثمانية سنوات والزوجة مع زوجها والفتاة تحت رعاية مربيتها

في ذات يوم دخلت سيدة على والدة الفتاة وهي في زهوها واعجابها فسلمت وجلست وكانت فواعل الاضطراب تلعب بجسمها كما تلعب الرياح باغصان فتقدمت اليها والدة الفتاة وهي تعجب بنفسها وتدل تيهاً لا تفكر الا في اتقان مشيتها وقالت لها : ما بالك مضطربة الخاطر شاحبة اللون ممتعضة النفس . . .

هل أصابك شيء ذهب بك الى هذا الحال يا صديقتي . . .

— نعم فالمصاب مصابك وقد جئتك لأقص عليك رواية عجيبة وصل الي علمها اليوم فجلبت علي نوائب لا يستطاع احتمالها وهي أن بعض السيدات حضرن الى منزلي وقلن لي أن الفتاة التي تقوم كاليرو بتربيتها هي ابنتك من عزيز الذي سطا على حجاب عفافك فمزقه وتنازل بعد ذلك عن الاقتران بك وكان سفرك الى رودس فيما مضى لاجل الوضع . وقد علمت على أثر ذلك أن بعض القوم ينوي اذاعة الامر عند زوجك الكريم للايقاع بمستقبلك والحط من كرامتك . وها أنا طرحت الامر أمام نظر تدبيرك لتحفظي خط الرجعة وتدفعي عنك غائلة الوشاة

وكفي ما شرحته لك الآن والسلام عليك حيث لا ينفع الكتمان

خرجت الزائرة وتركت والدة الفتاة بين مخالب الهموم والاكدار لاحراك بجسمها البارد من اضطراب شرايينه فقد انحدر العرق من جبينها وغسل تلك الصبغات المجازية فظهر وجهها عند ئذ معدوم البهاء غريب الرواء لا تألفه الانظار ولا يستميل القلوب والابصار ولبثت تطوف في زوايا الغرفة كأنها تبحث من بينها على مفقود غاب عن نظرها الى أن نبهتها كاليرو بوقع أقدامها فأسرعت نحوها وأغلقت وأغلقت باب الغرفة خلفها وأجلستها بجانبها ثم أخبرتها بالامر الحادث فقالت لهـا كاليرو : يلزمنا أن نشتغل في تدبير شأن يدفع عنا عناء هذه الشجون ويصرف كل تلك الظنون لان ما وصلك قد وصل الي وهذا ما دعاني للحضور اليك في هذه الساعة

— لارأي عندي يا كاليرو غير اعدام الفتاة من هذا الوجود حفظا لصيانتي الحاضرة ودفعا لما يعترض مستقبلي من غير هذه الاقاويل خصوصاً لو وصل الخبر الى زوجي — آه — لو وصل الخبر الى زوجي يا كاليرو . وامصيبتاه لو كانت تنفع وامصيبتاه .

أنقذيني يا كاليرو من هذه الاوجال والاهوال. خذي بيدي من هذه المصائب والرزايا. الدراك الدراك يا كاليرو برأيك وتدبيرك ـ لا . لا . فلا ريب في اعدامها ولا رأي غير ذلك فانهضي يا كاليرو من مكانك هذا وقدمي الى الفتاة جرعة من السم الزعاف تقضي عليها وتودي بحياتها

ـ لا أستطيع بهذه المهمة الخطيرة يا سيدتي وانما أقوم بعمل غير ذلك أضر وأفيد لنا بيد أنه لا يكون عسير الفعل بل يسير العمل وهو أن أقدم لها من الطعام مضغة واحدة في كل يوم وليلة واستعمل لها طريقة التعذيب كل آونة حتى تمرض وتفارق هذه الحياة فنستريح من عنائها ونكتفي شر وجودها وذلك الرأي هو عين الحكمة وفصل الخطاب

ـ نعم نعم . هيا افعلي ماتقولين وعليّ مكافأتك بماتشائين وعساك تعجلي بالقضاء عليها قبل اشتداد الازمة وامتداد حبل القال والقيل

ـ كوني مطمئنة البال ياسيدتي فذلك ليس بالعسير على قساوة قلبي وخشونة طبعي

ثم ودعتها وانصرفت الى منزل الخرنفش فوجدت الفتاة في بحيرة الماء الموجودة وسط الحديقة تلعب حسب عادتها فقبضت عليها بيد القساوة والشدة وصرعتها على الارض وظلت تضرب فيها بسوط يابس من سياط الخيل حتى أغمي عليها وغابت عن الوجود فرفعتها بين يديها وألقتها في غرفة مظلمة لا هواء فيها ولا ماء زهاء اليوم كله والفتاة تئن أنينا مراً حتى الصباح فدخلت عليها وقدمت لها قطعة من الخبز لاتسد رمق العصفور وقليل من الماء لا يبرد ظمأ ساكن القفاظ ثم أعادت كرةالتعذيب عليها

وهكذا لبثت كاليرو تؤدي مهمة القساوة والفظاعة مع الفتاة الى أن خافت افتضاح الامر عند جيرانها الذين كانوا يسمعون أنين المعذبة في غسق الليل فيئنون لها و يشفقون من حالتها فنقلت أمتعتها الى منزل آخر ومكثت به بضع شهور الى أن خشيت اذاعة الامر فاستأجرت غيره بباب اللوق وهو بيت القصيد من التعذيب

رأت كاليرو أن تصنع قفصا من الحديد وتستحضر قيوداو ثيدة ففعلت ووضعت تلك الاغلال في عنق الفتاة وألقتها في غياهب ذلك القفص وكان طعامها العذاب وشرابها الأنين والبكاء حتى أحاطت بها صنوف الموت ووقفتُ على أبواب الفناء والعدم وكان أنينها يصل دويه في الليل الى سكان المنازل القريبة من ذلك المنزل

فتألم عواطفهم وتراكضوا يتساءلون عن أسباب هذا التعذيب وكان من بينهم ذلك الرجل الجلاد الذي يجاور منزل الفتاة فلم يهتد القوم الى حقيقة تخفف اضطرابهم الا أن كابرو كانت تقول لمن يسألها السبب أن الفتاة ابنتها وتود تربيتها وتهذيبها وتارة تقول بأنها خادمة عندها تسرق كل ماوصل الى يدها من متاع البيت . فدفعت المروءة والحنان سيدة تركية كانت تسكن بجوار ذلك الجلاد فأخذت كل حين تبعث مع خادمتها بعض طعام وشراب فتتخطى الخادمة منزل الجلاد الى سطح بيت كابرو وتقدم للفتاة ما يلزم لها ولكن أنى يفيد ذلك والتعذيب الغريب يذهب بالحياة مذاهب الدمار والبوار ومن ثم أخذ الكافة يتناقلون هذه الرواية فيما بينهم الى أن وصلت لرجل أجنبي يدعى كوبنهاجن وكان ذلك الاجنبي يسمع أنين الفتاة كل ليلة فيتقطع كبده ويذوب فؤاده من هذه المؤلمات المحزنات فطفق من ذلك الحين يبحث عن دواعي التعذيب عله يقف على أسرار هذه الادوار ولكن خفق سعيه وصلت فراسته فلم ير حيلة غير أن كتب بلاغاً الى جناب حكمدار العاصمة قص عليه هذا الخبر فحضر جنابه مع فريق من رجال الشرطة ودخلوا ذلك المنزل وصعدوا الى أعلاه فراعهم هذا المشهد المفزع للضمائر والموجع للقلوب ـ رأوا تلك الفتاة مغلولة الايدي موثوقة بقيود حديدية وعيناها مغمضة كأنها تستسلم للموت وتودع هذه الحياة المنكودة ففكوا القيود وحلوا الوثاق والفتاة فاقدة الشعور والادراك لا تعقل شيئاً من هذا الوجود فأحضرت لها الادوية المنعشة ومكثوا يتلطفون بحالتها حتى هدأ التنفس وسكن الخفقان والاضطراب فحملوها على عربة وسيقت متهمة أخرى تدعى مدام بوتشنتي لسكناها في البيت مع معذبة الفتاة التي خرجت هائمة من وجه الحكومة فلم تقف لها على أثر الى دار المحافظة ومن ثمت أحيلت على دار القنصلية وسئلت عن الجريمة ومن ذلك الحين أخذت الشهود تختلف في منقولاتها والمتهمة تضرب في مروياتها والمحافظة تجتهد في استقصاء السر وحاولت الجرائد اكتناه حقيقة الموضوع وروت كل جريدة ماوصلها الا أن قوة الاصفر الرنان واقتدار ذوي الاقدار غيبت الحقيقة التي استترت بحجب التعمية والتلبيس وظل القوم في حيرة وارتياب لا يفقهون أسرار هذه الحركات ولا يستطيعون حل رموز تلك المعميات الى أن تبين للقنصلاتو الايطالية حقيقة جنسية الفتاة وأنها مصرية فأرسلتها الى المحافظة وبعثت بأوراق تحقيقها الى محكمة انكونا من أعمال ايطاليا

لمحاكمة المتهمة أمامها وهذه ردت الاوراق الى قنصلية مصر ثانيا لتنظر هي في أمر المحاكمة لصعوبة رأتها في طلب الشهود من مصر أمامها فتحددت جلسة بالقنصلية الايطالية وأعلنت الشهود والمتهمة بالحضور في يوم كان شديد الهول يجعل الولدان شيبا احتشدت فيه الجماهير من انحاء شتى وظلت الشهود تغدوا وتروح في القنصلية والدفاع عن المتهمة يتزايد في أدلته وبراهينه يومين كاملين وصدر الحكم بعد ذلك بحبس مدام بوتشنتي سنة كاملة وقد عجب الكافة من عدم حضور الفتاة المعذبة في جلسات القنصلية بناء على الاعلان الذي أعلن الى المحافظة وهذه اجابت عليه بعدم وجود الفتاة لاستلام والدها اياها كما سيرى القارئ فيما يلي

كانت والدة الفتاة المعذبة في كل هذه الادوار تسعى في مقاومة الحقائق وتجد في طمس معالم النتائج المرودية لكشف الستار عن هذه الاسرار حتى وصل الخبر الى زوجها فأبعدها عن ساحة داره ونبذها من جواره

وصلت الفتاة المعذبة الى المحافظة ولا تسل أيها القارئ عما جرى بعد ذلك . . . غير أننا نقول أن رجلا يونانيا جاء اليها وقدم أوصافها مدعيا بأنها ابنته وفي الحال تسلمت اليه تلك المعذبة التي تدين بدين محمد وتردد في ضميرها كلمة ـ هذا ما جناه أبي علي . . . .

انفردت والدة الفتاة في منزلها وكانت والدتها قد لحقت بأبيها وسكنت ذلك الرمس المظلم واستراحت من عناء هذه الحياة الدنيا الى أن أتاح الله لها قرينا من بلاد الريف ذا ثروة وجاه بين قومه وعشيرته فأكرم مثواها واحسن مقامها واحلها من فؤاده محلا عظيما واحضر لها خادمات اجنبيات طوعا لرغائبها وسارت تنتقل في كل آونة من مكان رياضة الى مكان سياحة بين مصر والاسكندرية ونسيت الماضي ولم تعد تفكر الا في الحال ولسان عيشها يقول

أنس له في كل قلب موقع ورضى لديه كل عيش أطيب
لا يصدق التخويف من واش سعى حسدا ولا قول الاماني يكذب
فاليوم أي منازل لا تشتهي سكني وأي مياهها لا تعذب

مرت على هذه الحنات والانات ثلاث سنوات فحدث أن والدة الفتاة سافرت الى ديفون مع قرينها هذا لتبديل الهواء حسب عادتها وثمت أخذت تبحث على فتاة اجنبية رجاء أن تحضر بها الى مصر لخدمتها فتقدمت اليها الخادمات فلم يرق في

نظرها غير فتاة منهن شاقها جمالها وخفة حركاتها فقبضت على يدها واخرجتها من صفوف الخادمات واتفقت معها على أجر معلوم ثم خلت بها مع زوجها وسألتها عن آلها وذويها فابتدأت الفتاة تقص عبارات اهتز منها جسم السيدة وقطعت الحديث على الفتاة بعد أن تغير لونها وعراها اغماء طويل فلم تستطع مقاومة هذه العوامل الفجائية فاندهش زوجها من هول ما رأى وظن بامرأته صرع شديد ينتابها أحياناً فاجتهد في تبديد سحب الاغماء عنها وسألها عن هذه الحركات المؤلمة فصرفت فكره ببعض عبارات ركن الى تصديقها الا أن الشك كان أقرب منــه الى اليقين فمكث يترقب خلوة مع الفتاة ليستطلع منها طلع الحقائق الا أنه علم من زوجته كل ما يريد الوقوف عليــه وجثت على ركبتها بين يديه تائبة عن ما مضي وأذرفت الدمع السخين أمامه وقصت على مسامعه جميع أدوارها في غرامها المشؤوم الى أن وصلت لذكر الفتاة وما كان من شأنها وأنها هي التي أعادتها الصدف اليوم اليها على غير علم منها بعد كل هذه الشدائد وتلك الاهوال فرقــ قلب قرينها اليها ودخلت عواطف الحنان والرحمة في فؤاده فأخــذها من يدها وأجلسها بجانبــه وقال لها لا تحزني يا قرينتي المحبوبة فقد قضى الامر وكان ما كان فلتأمي الماضي ولننظر لما نحن فيه الآن وها هي فتاتك أمام ناظريك فأحسني آدابها للمستقبل وأعدى لها ما استطعت من معدات التربية

خذى العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في صورتي حين أغضب
فاني رأيت الحب في الصدر والاسي اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

ـــ أعطاك الله ما تشاء يا قريني السعيد ورزقك ما تتمناه وحمي عرضك من غوائل الدهر وصروفه

ثم رجعت الوالدة بفتاتها وزوجها الى مصر بعد قضاء رحلة الصيف في ديفون وظل الجميع يتناوبون كؤوس الهناء والتوفيق الى اليوم ونزل الستار على هذه الفصول والله شهيد على ما أقول فهو اللطيف الخبير و بعباده عليم بصير

﴿ تمت ﴾